جامعة الجزائر2
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مدينة المرية في عصر المرابطين
-دراسة اجتماعية واقتصادية-
484 هـ- 542هـ/1091م- 1148م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:
ربيع رقي

تحت إشراف الأستاذ الدكتور
محمد الأمين بلغيث

السنة الجامعية
1434- 1435هـ / 2013- 2014 م

جامعة الجزائر2
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مدينة المرية في عصر المرابطين
-دراسة اجتماعية واقتصادية-
484 هـ- 542هـ/1091م- 1148م

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:
ربيع رقي

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:
محمد الأمين بلغيث

لجنة المناقشة

أ د/ عبد العزيز بوكنة...........رئيسا

أ د/ محمد الأمين بلغيث.........مقررا

أ د/ بشار قويدر بن عيسى.....عضوا

أ د/ الحاج العيفة..............عضوا

السنة الجامعية
1434- 1435هـ / 2013- 2014 م

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

أمي الغالية فاطمة وأبي الكريم إبراهيم أطال الله عمرهما. الزوجة الصابرة سميرة التي شجعتني ودعمتني ماديا ومعنويا وكانت لي سندا كبيرا.

ابنتي العزيزة قرة عيني ريتاج راحيل التي أنارت لي حياتي وملأتها سعادة.

أنسي وسندي أخوتي وأخواتي.

عائلة الزوجة الكريمة كبيرها وصغيرها.

الأختين فايزة وأمال اللتان سهرتا على إنجاز هذا العمل.

إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد.

إلى كل طالب علم وباحث عن المعرفة

ربيع

شكر و تقدير

الحمد لله الذي أنعم علي بنعمة العلم وجعلنا من الذين يسيرون على دربه، إذ وفقني في إنجاز هذا العمل الذي نأمل

أن يكون شمعة من شموع العلم، تضيء درب أي طالب علم ولو بجزء يسير

جزيل الشكر والاحترام والتقدير للأستاذ المشرف: **"الدكتور محمد الأمين بلغيث "** على تقديمه يد العون و المساعدة لي،

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساهم

في إنجاز هذا العمل المتواضع سواء بالفعل أو بالكلمة

الطيبة أو النصيحة القيمة

إلى كل هؤلاء نقول:

" شكرا"

ربيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بداية كل نعمة وخاتمة كل خير، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأعز المرسلين ....سيدنا ونبينا وحبيبنا أبي القاسم محمد، المنصور المؤيد، المصطفى الأمجد، المحمود الأحمد، حبيب رب العالمين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

إن الحديث عن التاريخ الأندلسي هو حديث عن تلك الأمجاد الخالدة للمسلمين وعن معجزاتهم التي أنارت العالم لقرون طويلة – أكثر من ثمانمائة عام – فكانت بحق مركز إشعاع حضاري استطاع أن يضيء ظلمة القرون الوسطى التي عرفتها أوروبا والتي ما كانت لتنجلي لولا وصول الإسلام إلى تلك الأراضي المغمورة في وحل التخلف والهمجية والعنصرية والخرافات وكل ما اجترحه الملوك إلى جانب الكنيسة، هذا فضلا على أنها كانت بمثابة دليل على سماحة الإسلام وعالميته فقد عاشت بالأندلس أعراق مختلفة جنبا إلى جنب في نسيج اجتماعي متناسق يسوده مبدأ قبول الآخر رغم الاختلاف مجسدة صورة الإسلام الحقيقي الذي جاء لكافة الناس.

فالحديث عن الأندلس يقودنا دائما للحديث عما أنتجه المسلمون وأبدعوا فيه في شتى المجالات وشتى العلوم فوصلوا إلى أسمى درجات التطور والرقي آنذاك حتى أصبحت الأندلس مقياسا لتطور الأمم ومركزا للإشعاع الحضاري، وإذا كان هذا الأمر يثير فينا مشاعر الفخر والاعتزاز فانه بنفس الوقت يوقد أحاسيس الحزن والأسى ويؤجج نار حرقة على أمجاد إسلامية غابرة، وتراث مفقود وفردوس ضائع.

من هذا المبدأ بالذات جاء اختياري لموضوع مدينة المرية في فترة المرابطين كبحث في جزء من التاريخ الأندلسي المحلي بعيدا عن كل تعصب أو تفاخر زائد، بل إيمانا مني بتأثير الأندلس بحد ذاتها في التاريخ الإسلامي والعالمي، وأن المدن الأندلسية لعبت دورها كما ينبغي فكانت نموذجا حيا عما

بلغته الحضارة الإسلامية، أما الهدف من هذا العمل هو الإثراء والمساهمة في إبراز ما وصلت إليه هذه المدينة الساحلية من تطور وتقدم واتساع وازدهار في فترة المرابطين.

كما أن اختياري لموضوع المرية في ظل الدولة المرابطية – دراسة اقتصادية واجتماعية – جاء بعد أن لفت انتباهي الدور الريادي للمرية عسكريا واقتصاديا والمكانة الهامة التي احتلتها منذ نشوئها وحتى بلوغها قمة الازدهار في عهد المرابطين الذين أولوها أقصى العناية والاهتمام باعتبارها قاعدة حربية وتجارية جد إستراتيجية، وبوابة الشرق ومنفذ للتجارة العالمية مع أقطار العالم الإسلامي الشرقي والغربي على السواء، والأقطار النصرانية أيضا .

وقد كانت فترة المرابطين أكثر ما شجعني على البحث لكونها تمثل قمة ازدهار المرية التي حاولت الربط بينها وبين المرابطين الذين يحفل تاريخهم بالبطولات والانتصارات وهذا منذ دخولهم الأندلس، ورفعهم راية الجهاد والدفاع عن المسلمين وأراضيهم وذلك بكل ما أتيح لهم من جهود وإمكانيات ودون أن يغفلوا عن الاهتمام بالمدن وتحصينها وتدعيمها بتشجيع النشاطات الاقتصادية فيها.

تتمحور إشكالية هذا الموضوع في إبراز الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدينة المرية في عهد المرابطين والأسباب التي أهلتها لهذه المكانة، ويمكننا تحديدها من خلال إظهار أهميتها الجغرافية والإستراتيجية على ساحل البحر الأبيض المتوسط وهل تمت الاستفادة من إمكانياتها وثرواتها الطبيعية ؟ وهل تم الاهتمام بها من طرف الحكام المرابطين؟ وكيف تعايشت العناصر والفئات المختلفة في المرية ؟ وكيف بلغت الريادة الاقتصادية بين مدن الأندلس حتى صارت منطقة عبور وتجارة وتبادل دولي ؟ وهل كانت المرية ذات بعد اقتصادي واستراتيجي فقط ؟ وهل وجدت عادات وتقاليد لأهلها ؟.

وكأي بحث لا يخلو من المصاعب فقد كان أكثر ما استعصى علينا أثناء البحث هو قلة المصادر والمراجع حول مدينة المرية خاصة في هذه الفترة المحدودة والقصيرة من تواجد المرابطين بها والتي لا تتجاوز الستين عاما، وربما يعود ذلك لانعدام المصادر أو لتجاوز فترة المرابطين بسبب نزعتهم الجهادية ودفاهم عن الإسلام ما جعل أعداءهم يحاولون محو تلك البطولات الخالدة، ومعظم ما ذكر عن المرية تم في إطار الحديث عن التاريخ الأندلسي عموما، وان وجدت فإنها تتكلم عن المرية في فترات مختلفة الأموية، الطوائف، المرابطين والموحدين، وقد استفدت كثيرا من كتب بعض المؤرخين الذين اهتموا بها في دراساتهم مثل كتاب السيد عبد العزيز سالم الموسوم بـ : تاريخ مدينة المرية الإسلامية (قاعدة أسطول الأندلس)، وكتاب تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي 344-484هـ لمحمد أحمد أبو الفضل، وكتاب مملكة المرية في عصر المعتصم بن صمادح لمريم قاسم طويل، وكتاب الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين لعصمت عبد اللطيف دندش، أما الكتب الأخرى فقد تنوعت بين مصادر ومراجع لاسيما كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن المقري التلمساني، والعبر لابن خلدون، وكتاب الكامل لابن الأثير، والإحاطة وأعمال الأعلام لابن الخطيب، وابن بشكوال في كتابه الصلة،والحميري في كتابه الروض المعطار، وعجائب البلدان لسراج الدين بن الوردي، وكتاب قضاة الأندلس لصاحبه أبو الحسن المالقي، وغيرهم كالإدريسي والحميري وابن عذارى المراكشي، وعبد الواحد المراكشي، إضافة إلى مراجع لمستشرقين كبروفنسال ودوزي، وغيشار، وشلميطا....

وقد قمت بتقسيم البحث إلى خمسة فصول، الفصل الأول يندرج تحت عنوان الأندلس والمرابطون تحدثت فيه عن تاريخ الأندلس وفتحها من قبل المسلمين، والمرابطين، أصلهم وتوسعاتهم حتى دخولهم الأندلس بعد الزلاقة، ثم خصصت الفصل الثاني للحديث عن المرية من الناحية الجغرافية والتاريخية، تناولت فيه الموقع والمناخ والخصائص الجغرافية، إضافة إلى بناء المرية والهدف من إنشائها وأهمية موقعها والعمران الذي بها، حيث أشرت هنا إلى تاريخ المرية في العهد الأموي وفترة الصقالبة وبنو صمادح، وكذا المرية في ظل المرابطين ومدى اهتمامهم بها.

أما الفصل الثالث فقد أفردته للحديث عن المدينة والمجتمع والعناصر المكونة له من عرب وبربر ومولدون ومستعربون وصقالبة وسودان أوردت كل منها على حدا، كما قسمت مجتمع المرية إلى فئات : الارستقراطية، الوسطى، وفئة العامة، من مزارعين وتجار وصناع وفئة أهل الذمة وأخيرا فئة العبيد، مدرجا في حديثي عن السكان أهم الخصائص التي يتميز بها سكان المرية هذا فضلا عن ذكر خصائص ومميزات مدينة المرية من حيث عمرانها وما تحويه من مرافق اجتماعية ومن حيث موقعها الذي يمنحها مكانة هامة من بين مدن الأندلس.

ثم خصصت الفصل الرابع لدراسة الحياة الاقتصادية فتناولت فيه بداية جملة المقومات الاقتصادية التي تزخر بها المرية والتي أحسن المرابطون استغلالها واستثمارها منذ دخولهم المدينة فتحدثت عن السياسة الاقتصادية للمرابطين أما فيما يخص الفرع الثاني من هذا الفصل فقد أفردته للحديث عن الصناعة بالمرية لاعتبارها من أهم مقومات الاقتصاد، فأدرجت في هذا الفرع أهم الصناعات التي كانت قائمة في الفترة موضوع الدراسة مثل الصناعة النسيجية والتحويلية والمعدنية والبحرية والحجرية وصناعة الجلود والحلي وصك العملة والى غير ذلك. ثم أنتقل في الفرع الثالث من هذا

الفصل إلى مقوم لا يقل أهمية عن الصناعة ألا وهو الزراعة التي شكلت احد عناصر النهضة الاقتصادية بالمرية خاصة في ظل اهتمام المرابطين بها فحققت اكتفاء السكان وساهمت في الصناعات التحويلية كما ساهمت في النهوض بالتجارة من خلال الصادرات المتنوعة تنوع المحاصيل الزراعية المنتجة بها دون أن ننسى الثروة الحيوانية كالماشية والأسماك أيضا والتي يتيحها موقعها البحري الهام، وفي خضم الحديث عن الزراعة أشرنا باقتضاب إلى طرق الري والسقي المتبعة بالإضافة إلى الأدوات المستعملة فيها. لنخلص في الفرع الأخير من هذا الفصل إلى ذكر التجارة كمقوم لا يقل أهمية هو الآخر عن سابقيه إذ تشكل التجارة إلى جانب الصناعة والزراعة عناصر الازدهار الاقتصادي، فقد حظيت التجارة بالمرية خاصة في عصر المرابطين بأوفر نصيب، حيث عرفت ازدهارا ونشاطا كبيرا نظرا لازدهار الصناعة والزراعة، ومنه سنتحدث في هذا الفرع عن أهمية المرية التجارية، وعن التجار والمبادلات والخطوط التجارية بها.

أما فيما يتعلق بالفصل الخامس وهو الفصل الأخير من بحثنا هذه فقد أفردته للحديث عن عادات وتقاليد مجتمع المرية التي تتنوع بين التعليم والجهاد والتصوف، وغيرها من العادات اليومية كاللبا س والطبخ والمنتزهات والمساجد والجنائز والاحتفالات، إضافة إلى دور المرأة ومكانتها كعنصر فاعل في مجتمع المرية .

وفي الخاتمة عرضت أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث مستعملا المنهج الوصفي والتاريخي والاستنباط .

عرض للمصادر والمراجع المعتمدة :

1- المصادر:

أ- الكتب:

1- المقري: أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني ولد 986 هـ وتوفي سنة 1041هـ/ 1632 م كتابه نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب من عدة أجزاء تحقيق إحسان عباس، هذا المصنف من أعظم الموضوعات التاريخية يحتوي على معلومات قيمة عن تاريخ الأندلس. اعتمدت على الأجزاء الأول، الثالث، الرابع في الأخبار عن المرية.

2- ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد توفي 808 هـ/ 1405 م كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر اعتمدت على الجزء الرابع والسادس في الأخبار عن المرابطين.

3- ابن الأثير: كتابه الكامل في التاريخ من عدة أجزاء يعتمد على السنوات في تحديد الأحداث. كتاب شامل عن المشرق والمغرب والأندلس. اعتمدت على الجزء الثامن في الأخبار عن مراكش والمرابطين والجزء السابع عن الفتنة أوائل القرن 15هـ.

4- ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي توفي 776هـ/ 1376 م، له كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق محمد عبد الله عنان المجلد الأول وهو كتاب هام نجد فيه أخبار عن المرية أيام الصقالبة في القرن 5هـ. وأيضا كتاب أعمال الأعلام تحقيق بروفنسال فيه ذكر نهاية بني صمادح.

5- ابن عذاري المراكشي: أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي كان حيا بداية القرن 8هـ/ 14 م. له كتاب البيان المغرب وهو مصنف هام. استعملت الجزء الرابع في أخبار المرية.

ب- التراجم:

5- ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك ن 578هـ/ 1183 م له كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، وهو موسوعة كبيرة لتاريخ علماء الأندلس وقد استفدت منه كثيرا في ذكر علماء المرية ومن قدمها من علماء المناطق الأخرى.

6- أبو الحسن المالقي النباهي: علي بن عبد الله الجذامي ولد 713هـ/ 1313 م كان معاصرا لابن الخطيب وصديقا له بادئ الأمد. له كتاب تاريخ قضاة الّأندلس، واعتمدت عليه في ذكر علماء المرية .

جـ - كتب الجغرافيا:

1- الإدريسي: الشريف محمد بن عبد الله توفي 560هـ/ 1166 م له كتاب صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق فيه وصف لمدن الأندلس وطبيعتها ووديانها.

2- ياقوت الحموي : كتاب معجم البلدان يتناول فيه الأعلام والمدن حسب الترتيب الأبجدي فيه معلومات قيمة عبارة عن موسوعة للتعريف بالمدن والأعلام.

3- الحميري : محمد بن عبد المنعم توفي أواخر القرن التاسع للهجرة(15 م) كتابه الروض المعطار قيم يحتوي على معلومات عن مدن الأندلس.

4- مجهول : جغرافية وتاريخ الأندلس: كان حيا في نهاية القرن 9هـ/ 15 م. حققه عبد القادر بوباية فيه أخبار عن مدن الأندلس وتاريخها.

5- سراج الدين بن الوردي : له كتاب عجائب البلدان يذكر فيه المدن وتاريخها ولد 691هـ/1291 م توفي 749هـ/ 1349 م .

2- المراجع :

1- السيد عبد العزيز سالم: له عدة كتب منها في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي وأهم كتاب اعتمدت عليه هو تاريخ مدينة المرية الإسلامية (قاعدة أسطول الأندلس)، وهو كتاب ذات أهمية استفدت منه خلال البحث وتناول صاحب الكتاب مدينة المرية في فترات مختلفة وفي شتى المجالات.

2- محمد أحمد أبو الفضل: له كتاب تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي ، كذلك غطى مدينة المرية على فترات مختلفة اعتمدت عليه أثناء البحث.

3- مريم قاسم طويل : لها كتاب مملكة المرية في عصر المعتصم بن صمادح اعتمدت عليه أثناء البحث تناولت فيه المرية في عدة جوانب.

4- عصمت عبد اللطيف دندش : كتاب الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين جاء في الكتاب معلومات قيمة عن المرية في الجانب الاجتماعي والاقتصادي.

3- الكتب المترجمة:

لقد استعملت عدة كتب تحوي معلومات قيمة عن الأندلس ومدنها كالمرية، وعن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأندلس عموما، السكان، الفئات، العناصر، النشاط الاقتصادي والاجتماعي لكتاب ومؤرخين كشلميطا، بروفنسال، دوزي، يانس هل، ريسلر، اكسبيراثيون، بولنز، وينز، غيشار.

الفصل الأول:

الأندلس والمرابطون

1-الأندلس عبر التاريخ

2-فتح الأندلس

3-الأندلس من الفتح إلى قدوم المرابطين

4-المرابطون في الأندلس

شكلت الأندلس على مر تاريخها حالة فريدة في الإسلام لقيام حضارة مميزة فيها هي عبارة عن مزيج بين الثقافة الإسلامية والثقافة الأيبيرية، هذه الحضارة التي ازدهرت ازدهارا بالغا في جميع مناحي الحياة حتى غدت الأندلس مركزا للإشعاع الحضاري والعلمي والفكري، وتركت بفضله بصماتها على التاريخ الإسلامي والعالمي.

وقد شارك في هذه الحضارة كل العناصر التي سكنت الأندلس في كنف الدولة الإسلامية من عرب وبربر، ونصارى ويهود وصقالبة وسود ساهموا جميعا بما لديهم في الإشعاع الحضاري.

كما مرت الأندلس بفترات وعهود عديدة اختلفت بين القوة والضعف وبين التبعية والاستقلال، وبين الهدوء والاضطراب، وفي نفس الوقت كانت رقعتها تتسع وتتقلص تبعا للوضع السياسي السائد.

1- الأندلس عبر التاريخ:

أطلق المسلمون الفاتحون اسم الأندلس على الأراضي التي فتحوها في شبه جزيرة أيبيريا، واشتقوه من لفظ واندلوس نسبة إلى قبائل الوندال الجرمانية التي اجتاحت أوروبا في القرن الخامس الميلادي(5 م) واستقرت في السهل الجنوبي الأيبيري. وتقع شبه الجزيرة في جنوب غرب أوروبا يحدها البحر الأبيض المتوسط من الشرق، والمحيط الأطلسي غربا، أما في الجنوب يفصلها عن القارة الإفريقية مضيق يصل بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.ويحدها من الشمال سلسلة جبال البرت أو البرتات تتخللها مضايق وممرات تصلها بفرنسا وباقي أوروبا[1].

أما الأراضي التي أطلق عليها المسلمون اسم الأندلس فقد تغيرت من وقت لآخر. ففي البدء استعمل للإقليم الجنوبي، ثم عمت التسمية كل البلاد، ثم اقتصر على الأقاليم التي بقيت في حوزة

[1] د/أحمد مختار العبادي- في تاريخ المغرب والأندلس- دار النهضة العربية- بيروت- ص18.

المسلمين حتى أصبح الاسم خاصا بغرناطة آخر معاقل الإسلام والمسلمين. ويوجد بالأندلس العديد من المدن المشهورة كمرسية وسرقسطة، بلنسية ودانية والسهلة في القسم الشرقي، وفي الوسط توجد قرطبة وطليطلة، جيان وغرناطة، المرية ومالقة. أما غربا فتشتهر مدن اشبيلية، ماردة وأشبونة وشلب[1].

وتتميز الأندلس بالتضاريس والوعرة من جبال ومرتفعات تتخللها الأنهار الكبيرة كسلسلة جبال البرتات (البرانس) في الشمال التي كانت تسمى بالجبل الحاجز أو باب الأندلس، وسلسة جبال كنتربيان في أقصى الشمال الغربي، وفي وسط الأندلس وشمالها هضبة سماها المسلمون جبل الشارات- تحريف لكلمة سييرا sierra التي تعني سلسة- ينبع منها نهري دويرة وتاجة الذي يصب في المحيط وجبل شقورة segura الذي ينبع منه النهر الكبير. أما في الجنوب والجنوب الشرقي توجد سلسلة جبال نيفادا sierra nivada- أي جبل الثلج- أو جبل شلير عند المسلمين، وأما جبال قرطبة فتسمى سييرا مورينا sierra morena.[2]

وقد سكن الأندلس أقوام عديدون كالإيبيريين والكلتيين القادمون من الشمال ومن هذا المزيج تكون الشعب الاسباني القديم ثم جاء الفينيقيون والقرطاجيون الذين توسعوا في السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة. ثم حل الرومان محلهم قرابة ستة قرون كانت مدة كافية لإعطاء اسبانيا الطابع الروماني [3] وهيمنت الحضارة الرومانية نظاما وقانونا ولغة وبمعاونة المسيحية فيما بعد[4].

---

[1] د/ السيد عبد العزيز سالم – في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس- مؤسسة شباب الجامعة- الاسكندرية1998- ص6.

[2] نفسه- ص7./مجهول- جغرافية وتاريخ الأندلس- تحقيق: د/ عبد القادر بوباية- مؤسسة البلاغ- الجزائر2013- ص56

[3] د/ أحمد مختار العبادي- نفس المرجع- ص25.

[4] د/ السيد عبد العزيز سالم- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس- ص7.

وفي أوائل القرن الخامس الميلادي تعرضت الإمبراطورية الرومانية لضربات وهجرات القبائل الجرمانية التي أتت من شواطئ بحر البلطيق والأراضي الواقعة على نهري الدانوب والراين، ومن أهم الهجرات هجرة قبائل الوندال التي عبرت جبال البرتات منذ سنة 409 م حتى استقرت في السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة التي سارت تعرف باسمهم أو واندلوس التي عربها المسلمون الفاتحون عند قدومهم إلى كلمة الأندلس. ثم توالت الهجرات حتى جاء القوط الغربيون ليستولوا على اسبانيا[1].

وقد تأثر القوط الغربيون بعد بسط سيطرتهم على البلاد بالنظم والحضارة الرومانتين متخذين المسيحية دينا لهم فيما بعد [2] .ومدينة طليطلة عاصمة لهم ومقرا لحكمهم [3] . وفي ظل القوط ساد التفاوت الطبقي للبلاد، فكان النبلاء والقادة والأعيان ورجال الدين يملكون الأراضي والعقارات والقصور يحيون حياة الرفاهية والترف همهم جمع الأموال وتشييد القصور. أما باقي الشعب يعيش تحت طائل الضرائب الفادحة التي أرهقت كواهلهم، في حياة بئيسة وتحت استغلال طبقة الخاصة. أما بالنسبة للعبيد والرقيق فهم في ذل وهوان لا حرية لهم ولا كرامة يستخدمون لمختلف الأغراض، ولا يختلف الوضع لليهود الذين عانوا من تعسف وجور الملوك والنبلاء رغم تمتعهم بحضور اقتصادي. وهاته الطبقات الدنيا هي التي صار يتكون منها الجيش في معظمه، فحياة العسف والاستغلال جعلت منها دون روح قتالية وضعيفة الإرادة في الحروب مما جعل الجيش متضعضع وفاقدا لتماسكه[4].

ولا يختلف الوضع السياسي عن ذلك، إذ كانت إسبانيا غير متماسكة وفي حالة سيئة بعد أن انغمس القوط في الترف والتنعم، رغم محاولة أخر ملوكهم غيطشة (ويتيزا) القضاء على أسباب التردي

---

[1] د/ أحمد مختار العبادي- نفس المرجع- ص30.

[2] محمد محمد زيتون- الفتح الإسلامي للأندلس" دراسة وتحليل"- منشورات كلية العلوم الإسلامية الرياض- 1980- ص304.

[3] إبن خلدون- كتاب العبر- ج4- منشورات مؤسسة الإعلامي- بيروت- 1989- ص117.

[4] محمد محمد زيتون- نفس المرجع- ص305.

السياسي من ثورات وقلائل، لكن بعد وفاته دار الصراع على الحكم بين ابنه وقلة بن غيطشة وأحد أتباعه المسمى لوذريق الذي استمال طائفة من الرجال إلى جانبه. فصارت البلاد في فوضى سياسية وفقدت وحدتها[1].

ورغم محاولة زوجه الملك غيطشة ضبط الملك لكن لوذريق عرف كيف يسيطر على الحكم وقام باحتلال قرطبة رفقة مناصريه[2].

2- فتح الأندلس:

بعد ما استتب الأمر للمسلمين في إفريقيا ووطدوا حكمهم، لاحت أبصارهم نحو الأندلس التي كانت في ظروف غير مستقرة حيث وجه الوالي موسى بن نصير مولاه طريف في مائة فارس وأربعمائة را جل على متن أربعة مراكب شهر رمضان عام 91هـ/700م لمعاينة الأوضاع واستطلاع أحوال البلاد ثم عاد طريف بغنائم كثيرة[3].

أدرك موسى بن نصير أن المسلمين قادرين على عبور المضيق وافتتاح الأندلس، فجهز جيشا يقدر بسبعة آلاف محارب جلهم من البربر تحت إمرة طارق بن زياد من قبيلة ورفجومة [4] الذي نزل بالجبل الذي ينسب إليه شهر شعبان عام 92هـ/711م ثم أرسل إلى موسى يستمده بجيش آخر فجهز له هذا الأخير جيشا من خمسة ألاف من المسلمين[5].

---

(1) د/أحمد مختار العبادي- نفس المرجع- ص52.

(2) إبن القوطية – تاريخ افتتاح الأندلس-تحقيق ابراهيم الأبياري- مجلد2- ط2- دار الكتاب المصري اللبناني- القاهرة- 1989- ص29.

(3) أحمد بن المقري التلمساني- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- تحقيق: د/ إحسان عباس- مجلد1- دار الأبحاث- الجزائر- 2008 ص230.

(4) الرقيق القيرواني- تاريخ إفريقية والمغرب- تقديم: د/ محمد زينهم محمد عزب- دار الفرجاني- القاهرة-1994- ص8.

(5) المقري- نفح الطيب- ج1- ص232.

والتقى جيش المسلمين مع جيش القوط رمضان 92هـ/711م في سهل الفر نتيق في معركة حامية الوطيس استمرت وقتا طويلا، ورغم عدم تكافؤ الطرفين إلا أن النصر كان إلى جانب المسلمين [1] وسميت هذه المعركة بعدة أسماء كمعركة وادي لكة أو بكة، أو معركة شريش، معركة شذونة والبحيرة[2]. وتلقى القوط هزيمة منكرة وبقيت جثثهم وجيفهم دهرا، وعظامهم إلى حديث من الزمان[3].

بعد هذا النصر المؤزر استمر طارق بن زياد في فتح المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى ثم انضم إليه موسى الذي عبر المضيق عام 93هـ/711م لمساعدته في فتح باقي المدن. أنظر الخريطة1

ولما استقر الوضع للمسلمين قفل موسى راجعا نحو الشرق محملا بالذخائر والغنائم بعد ما خلف ابنه عبد العزيز بن موسى في قرطبة ليدير شؤون البلاد[4].

3- الأندلس من الفتح إلى قدوم المرابطين:

بعدما دانت الأندلس للمسلمين صارت جزءا من الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، ومرت بفترات عديدة بدءا من عصر الولاة، ثم الدولة والخلافة الأمويتين، ثم عصر الطوائف قبل مجئ المرابطين.

ويمتد عصر الولاة كانت الأندلس تابعة للخلافة في دمشق من 95هـ/138هـ إلى (714-755م)، وفيه حاول بعض الولاة مد حدود الأراضي الإسلامية شمالا، كما تميز هذا العصر بالفتن والاضطرابات والنعرات العصبية والقبلية[5]

(1) البلاذري- البلدان(فتوحها وأحكامها)- تحقيق؛ نجيب ماجدي- ط1- الدار المصرية- بيروت- 2008- ص217.

(2) محمد محمد ريتون- نفس المرجع- ص315.

(3) أبو اسحاق بن القاسم الرقيق- قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب- تحقيق: د/عبد الله العلي الزيدان، د/ عز الدين عمر موسى- ط1- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1990- ص43.

(4) المقري- نفح الطيب- ج1- ص234.

(5) السيد عبد العزيز سالم- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس- ص11.

ومجموع ولاة الأندلس في هذه الفترة التي تزيد عن أربعين سنة ثمانية عشر واليا بدءا من عبد العزيز بن موسى إلى يوسف بن عبد الرحمان الفهري[1] .

ثم تأتي مرحلة الدولة الأموية(الإمارة والخلافة) 138- 420هـ(755- 1029م) حيث استطاع الأمير الأموي عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الإفلات من قبضة العباسيين إثر سقوط الخلافة الأموية بالمشرق والوصول إلى الأندلس، وتمكن بعد أن كسب تأييد وأنصار من الأندلسيين من هزم آخر الولاة يوسف بن عبد الرحمان الفهري، وتأسيس دولة جديدة للأمويين حيث عمل على توطيد أركانها وتقوية دعائمها، وأشهر أمراء هذه الفترة عبد الرحمان الناصر، وفي عهده بنيت الزهراء، وعرفت الأندلس أزهى فتراتها.

لكن في أواخر أيام الخلافة بالأندلس، بدأ الضعف والوهن يدبان في أوصالها لاسيما بعد وفاة الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي كان حاجبا لهشام المؤيد بن الحكم المستنصر. حيث خلفه ابنه عبد الملك في الحجابة ثم ابنه الآخر عبد الرحمان الذي صار وليا للعهد لهشام المؤيد، غير أن الناس ثاروا فقتلوا عبد الرحمان وخلعوا هشاما، ثم تولى خلفاء ضعاف إلى غاية وفاة المعتد بالله بن محمد آخر الخلفاء. هناك أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور نهاية دولة الأمويين بالأندلس[2] ومجموع أمراء البيت الأموي ستة عشر ملكا[3].

---

[1] المقري- نفح الطيب- ج1- ص299.

[2] السيد عبد العزيز سالم- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس- ص17.

[3] المازاري- طلع سعد السعود في أخبار وهران وإسبانيا وفرنسا- تحقيق: د/ يحيى بوعزيز- ط1- ج1- دار البصائر- الجزائر- 2007- ص124.

وبعد سقوط الخلافة الأموية تأتي فترة حرجة وعصيبة على الأندلس، حيث ظهرت على أنقاضها دويلات مستقلة . أنظر الخريطة 2، وتفرق الناس شيعا واستبد كل حاكم بجهته فالعائلات العريقة في الوسط، والبربر في المدن الجنوبية والصقالبة العامريين استبدوا بالمدن الشرقية[1].

ورغم هذا التفكك والتشرذم إلى أن الحياة الفكرية والفنية في هذا العصر انتعشت كثيرا نظرا لاهتمام الحكام وتشجيعهم للعلماء والأدباء والشعراء ومكافأتهم على جهودهم، ولاسيما أن العائلات الحاكمة في معظمها كانت ذات جاه ومال ومكانة في المجتمع، ثم زادت ثروتها بعد أن تمكنت من السيطرة على الحكم في هذه الفترة مما أتاح لها فرصة تشجيع الفكر والفنون [2]. واستمرت الأوضاع طيلة عصر الطوائف زهاء سبعين سنة حتى قدم المرابطون إلى الأندلس ، وملكها يوسف بن تاشفين الملثم من بر العدوة[3].

4- المرابطون في الأندلس:

كانت فترة ملوك الطوائف مليئة بالفتن الداخلية والصراعات المحلية بين مختلف الأطراف من أجل الاستحواذ على مزيد من الأملاك والأراضي، في حين كان النصارى يستجمعون قواهم في حركة استرداد نصرانية ذات بعد صليبي يقودها الملوك النصرانيين أدت إلى سقوط عدة مدن إسلامية حتى قدر للدولة المرابطية أن يكون لها تاريخ في الأندلس وسبق في مواجهة النصارى، وقدم في مجال الجهاد والدفاع عن الإسلام، فمن هم المرابطون؟ وكيف تأسست دولتهم؟ .

إن قيام دولة المرابطين يثير اهتماما كبيرا من حيث نشأتها وبلوغها العظمة والقوة،

[1] كارل بروكلمان- تاريخ الشعوب الإسلامية- نقله: نبيه أمين فارس/ منير البعلبكي- ط5- دار العلم للملايين- بيروت- 1968- ص306.

[2] د/ صلاح خالص- اشبيلية في القرن 5هـ - دار الثقافة- بيروت- ص42.

[3] المقري- نفح الطيب- ج1- ص301.

إذ بدأت بفكرة بسيطة تتمثل في نشر مبادئ الدين الإسلامي الصحيحة بعيدا عن الخرافات والشركيات، وبعد جهود جبارة تحولت إلى دولة قوية بسطت سيطرتها على الصحراء والمغرب الأقصى والمغرب الأوسط فالأندلس. كما يوجد شبه كبير في طريقة خروج المرابطين من الصحراء بالمسلمين الأوائل، وتكوين دولة إسلامية حضارية، حيث أسست قبائل صنهاجة دولة كبيرة وشاسعة جمعت بين المغرب والأندلس في كيان واحد، تحولت من دولة إقليمية إلى دولة عالمية أعادت البريق إلى العالم الإسلامي، وضخت دماء جديدة إلى مسلمي الأندلس.

ويعود اصل المرابطين إلى قبيلة لمتونة الصنهاجية التي أسست دولة المرابطين جنوب المغرب الأقصى فيما وراء جنوب درن[1]. ويتكلم ابن خلدون عن صنهاجة ويقسمها إلى طبقتين: بنوزيري وهم صنهاجة الشمال، والطبقة الثانية صنهاجة الجنوب وهم الملثمون أو المرابطون فيما بعد يقيمون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، وقد استوطنوا هناك منذ زمن بعيدا عن العمران مستأنسين الأنعام ومتخذينها وسائل عيشهم في جوار السود(الحبشة). وكانوا وسطاء بين بلاد السودان وبلاد البربر، كما تعددت قبائلهم كلمتونة، مسوفة، لمطة، تريكة، ناوكا، زغاوة وأشهر هذه القبائل لمتونة التي تتقسم بدورها إلى بطون منهم: بنو زمال، بنو صولان، بنو ناسجة، بنو ورتنطق ومنهم أبو بكر بن عمر زعيم المرابطين[2].

ونشأ المرابطون في منطقة الصحراء الغربية ما يلي المحيط الأطلسي والمتصلة شمالا ببلاد المغرب الأقصى، وجنوبا ببلاد السودان حيث كانت تقيم القبائل الصنهاجية تجمعهم رابطة الدين واللغة

(1) د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي- مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية- 2011- ص605.

(2) ابن خلدون- تاريخ ابن خلدون: كتاب العبر- منشورات مؤسسة الأعلمي- ج6- بيروت- 1971- ص181.

والتقاليد[1] وكانوا بدوا رحلا كما سبق ذكره ينتقلون في الصحراء من واحة إلى أخرى. ليس لهم باع في العلوم والفنون والكتابة حتى تعاليم الإسلام الصحيحة بالرغم من مجاورتهم للأمم المسلمة وفي نفس الوقت كانوا بمنأى عن الرذائل[2].

أما عن تسميتهم بالملثمين فهناك تفسيرين أولهما أنهم لا يتركون اللثام، والثاني أن نساءهم في أحد المرات حاربن باللثام وقاتلن العدو لما غاب الرجال عن الحي [3]، ومن ذلك الوقت وهم يستعملونه وجعلوه سنة يلازمونه، فلا يعرف الشيخ من الشاب، ولا يزيلونه ليلا ولا نهارا[4] .

بدأت الحركة الإسلامية عند القبائل الصنهاجية عندما ارتحل زعيمهم يحيى بن إبراهيم الجدالي إلى الحج عام 427هـ/1035م وفي العام الموالي عند عودته نزل بالقيروان التي كانت مركز شمال إفريقيا الثقافي[5]. فالتقى بالفقيه الكبير أبو عمران الفاسي وطلب منه إرسال أحد الفقهاء لنشر العقيدة الصحيحة بين القبائل الصنهاجية. وما كان من الفقيه أبو عمران إلا توجيهه إلى أحد الفقهاء في بلاد السوس وهو وجاج بن زللوا اللمطي الذي انتدب أحد طلبته لهذه المهمة عبد الله بن ياسين الجزولي. سار يحيى بن إبراهيم مع ابن ياسين إلى مضارب الصنهاجيين وبدأ في تصحيح عقيدة الناس ونشر مبادئ الإسلام الحقيقية، ثم انتقل إلى تطبيق الحدود الأمر الذي لم يألفه السكان فأعلنوا انزعاجهم

---

[1] د/ عبد الحميد حاجيات- تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد المرابطين- ج3- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1984- ص292.

[2] يوسف أشباخ- تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين- ط2- ج1، ج2- مكتبة النحانجي- القاهرة- 1996- ص68.

[3] المازاري- نفس المرجع- ص129.

[4] ابن الأثير- الكامل في التاريخ- تحقيق: د/ عمر عبد السلام تدمري- ج8- دار الكتاب العربي- بيروت- 2010- ص138.

[5] مونتغمري وات- في تاريخ اسبانيا الإسلامية- ترجمة: د/ محمد رضا المصري- ط2- شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- بيروت- 1998- ص108.

وتذمرهم[1].

غادر عبد الله بن ياسين مضارب صنهاجة رفقة يحيى بن عمر اللمتوني الذي خلف يحيى بن إبراهيم بعد وفاته ومجموعة من الرجال إلى مكان آخر يقع على ربوة يحيط بها بحر النيل(السنغال) ضحاحا في الشتاء وغمرا في الصيف، فتسامع به الناس وأقبلوا عليه وسماهم المرابطين [2] نسبة إلى الرباط الذي أسسوه في هذا المكان حيث كانوا يتدربون ويدرسون ويتفقهون[3].

لما بلغ عدد الرجال ألفا جعل عبد الله بن ياسين يحيى بن عمر أميرا عليهم ثم أبلغهم أنه حان وقت الخروج لتطبيق مبادئهم على أرض الواقع، فخرج المرابطون معلنين الجهاد على القبائل الصنهاجية حتى دانت جميعها ثم توجهوا إلى مختلف الجهات لفتحها وإصلاح أحوالها وانتقلوا من نصر إلى آخر حتى غمرت الجيوش المرابطية الضخمة الصحراء والمغرب الأقصى في كل الجهات[4].

اتخذ المرابطون في البداية مدينة أغمات التي فتحوها عام 449هـ/1055م عاصمة لهم غير أنها لم تستوعب أعدادهم الكبيرة المتزايدة، فبات من الضروري بناء عاصمة جديدة تليق بدولتهم هي مراكش [5] التي تقع بالقرب من نهر تنسفيت بين أغمات ونفيس في جنوب المغرب [6] ويشار أن هذ ا الموقع كان موحشا لا انيس به إلا الغزلان والنعام ولا ينبت فيه إلا السدر والحنضل وبجواره مكان فسيح خصيب كثير العشب[7].

---

[1] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي- ص608.

[2] ابن خلدون- العبر- ج6- ص183.

[3] د/ الحسن السائح- الحضارة الإسلامية في المغرب- ط2- دار الثقافة – الدار البيضاء- 1986- ص135.

[4] يوسف أشباخ- نفس المرجع- ص69.

[5] د/ ابراهيم القادري بوتشيش- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين- دار الطليعة- بيروت- 1997- ص19.

[6] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي- ص617.

[7] د/ حسن ابراهيم حسن- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي- ط1 ج4- دار الجيل- بيروت- 1996- ص560.

ويعني اسم مراكش بلغة البربر أسرع المشي أو أمشي مسرعا لكون المكان مخافة يقطع فيها اللصوص الطريق على القوافل[1].

تكفل ببناء مراكش يوسف بن تاشفين ابن عم أبو بكر بن عمر الذي خلف أخاه يحيى بن عمر بداية من عام 454هـ/1061م واستمر البناء خمس سنوات متواصلا وكان أول ما بني المسجد وقصبة صغيرة. وصار موقع مراكش الذي كان قاعا صفصفا لا عمارة فيه آهلا بالناس[2].

وفي الوقت نفسه قاد يوسف بن تاشفين جيوش المرابطين نيابة عن ابن عمه في المغرب الأقصى مواصلا الفتوحات، كما يعتبر يوسف المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين حيث وطد أركانها وأعطاها كيانا دوليا ثابتا بفضل حزمه ودهائه وتجربته إضافة إلى ورعه وتقواه، دولة بدأت بفكرة بسيطة تتمحور حول نشر التعاليم الصحيحة وتصحيح عقيدة الملثمين[3] إلى أن صارت دولة حامية الدين وكان الإسلام غايتها وهدفها[4] ولأن نشأة الدولة المرابطية نشأة دينية نال الفقهاء والعلماء مرتبة رفيعة ومكانة عالية، لهم الكلمة المسموعة والحضوة المرموقة وساهموا في إدارة شؤون الدولة[5].

أصبح المغرب يتمتع بوحدة سياسية ودينية قوية في ظل الحكم المرابطي في حين كانت الأندلس تعاني التفكك السياسي والاجتماعي تحت حكم ملوك الطوائف الذين اهتموا بصراعاتهم ونسوا الخ طر النصراني القادم وتحالف بعضهم مع النصارى ودفعوا لهم الجزية والأتاوات، وتمكن كبيرهم ألفونسو السادس ملك قشتالة من احتلال طليطلة إثر حصار مرير عام 478هـ (1085م) بعد أن قوي شأنه وكثرت عساكره. وعقب هذا الزلزال المدوي استشعر ملوك الطوائف الخطر فأخذوا يراسلون يوسف

(1) ياقوت الحموي- معجم البلدان- مجلد5- دار صادر- بيروت- 1977- ص94.
(2) ابن الأثير- الكامل- ج8- ص137.
(3) د/ علي محمد محمد الصلابي- الجوهر الثمين لمعرفة دولة المرابطين- ط1- دار التوزيع الإسلامية- القاهرة- 2003- ص23.
(4) د/ محمد الأمين بلغيث- دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي- دار التنوير- الجزائر- 2006- ص13.
(5) محمود السيد: تاريخ دولة المرابطين والموحدين- مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية- 1999- ص105.

بن تاشفين ويوفدون له البعثات طلبا للنجدة ودفع غارات النصارى عنهم مضطرين أن يتوجهوا إلية طوعا أو كرها[1].

اقتنع يوسف بن تاشفين بضرورة مساعدة إخوانه الأندلسيين، ومد يد العون لهم معلنا الجهاد الذي هو من صميم عقيدة دولة المرابطين وعبر إلى الجزيرة الخضراء ثم سار إلى اشبيلية ثم إلى بطليوس لملاقاة النصارى، وعسكر الطرفان في سهل تتخلله الأحراش يسمى عند العرب بالزلاقة وعند النصارى سكر لياسsacralias يفصل بينهما نهر صغير يسمى بنهر حجير، وضرب يوسف محلته على ربوة منفصلا عن الأندلسيين[2] .

التقى الجيشان في معركة شديدة شهر رجب 479هـ(1086م) عند الزلاقة، وكان يوما مشهودا للمسلمين أين أحرزت القوات المرابطية الأندلسية انتصارا كبيرا أوقف تيارا لغزو النصراني، وبدأت فترة استرداد إسلامية[3] أعادت الروح للمسلمين في الأندلس.

وعند عودة يوسف بن تاشفين إلى حاضرته مراكش رجع ملوك الطوائف إلى سالف عهودهم من التنافر والصراع، والفرقة والاختلاف، والتحالف مع النصارى، فقرر أخيرا عام 483هـ (1091م) خلعهم واستئصالهم بعد مشاورة العلماء كالغزالي والطرطوشي وبدأ بغرناطة ثم إقليما إقليما [4] أما المرية فقد أمر على الجيش المتوجه إليها لفتحها أبو زكريا بن واسنو [5]. وبعد ذلك أصبحت الأندلس تابعة للدولة المرابطية فترة من الزمن.

(1) ليفي بروفنسال- حضارة العرب في الأندلس- ترجمة: ذوقان قرقوط- مكتبة الحياة- بيروت- ص25.

(2) يوسف أشباخ- نفس المرجع- ص91.

(3) د/ حسين مؤنس- الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين- مكتبة الثقافة الدينية- بور سعيد- 1992م- ص6.

(4) ابن خلدون- العبر- ج6- ص187.

(5) د/ محمد عبد الله عنان- دولة الإسلام في الأندلس- ط1- مطبعة لجنة التأليف- القاهرة- 1960- ص331.

الفصل الثاني:

مدينة المرية: التاريخ والجغرافية

1 – الموقع والمناخ والخصائص الجغرافية
2- بناء المرية والهدف من إنشائها
3- أهمية موقع المرية
4- العمران في المرية
5- تاريخ المرية
6- المرية في ظل المرابطين
7- اهتمام المرابطين بالمرية

تعتبر المرية من أهم المدن الإسلامية في الأندلس وفي العالم الإسلامي بصفة عامة، وكانت من أعظم قواعد الأسطول الأندلسي منذ إنشائها وعبر تاريخها الطويل، واحتلت المركز الأول في التجارة البحرية مع أقطار البحر الأبيض المتوسط إضافة إلى كونها مدينة رائدة في الصناعات النسيجية الحريرية التي بلغت شهرتها الآفاق في العصر الإسلامي في فترة الدولة المرابطية، واشتهرت بالأسطول الرابض بها الذي هابه الجميع، وبدار صناعتها التي أنتجت أكبر وأفخم السفن للاستعمالات المختلفة .

وقد جمعت المرية أيام ازدهارها عناصر عديدة تعايشوا بسلام في مدينة جمعت بين اتساع العمران ورقي البناء، وبين الزراعة والصناعة والتجارة، والجهاد والأعياد والمنتزهات، والبساتين الخلابة، والخضر الكثيرة، والفواكه المتنوعة، وفيها يقول المقري:" فإنها البلد المشهور الذكر، والعظيم القد ر، وساحلها من أنظف السواحل وأشرحها وأملحها وواديها المعروف بوادي بجانة من أفرج الأودية ضفتاه بالرياض كالعذارين حول الثغر وبها كان محط مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم، ومنها كانت تسفر لسائر البلاد بضائعهم، ومنها كانوا يسوقون جميع البضائع التي تصلح لهم ولم يوجد لهذا الشأن مثلها لكونها متوسطة ومتسعة قائمة بالوارد والصادر"[1] ويقول أيضا: " ووادي المرية طوله أربعون ميلا في مثلها كله بساتين بهجة، وجنات نظرة، وأنهار مطردة وطيور مغردة، وهي بين الجبلين بينهما خندق معمور على الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة، وعلى الآخر ربضها، والسور محيط بالمدينة والربض، وغربيها ربض آخر يسمى ربض الحوض وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة وأحجار أولية، ولها مدن وضياع عامرة متصلة بالأنهار"[2].

---

(1) المقري – نفح الطيب– ج3 – ص ص 19،20.

(2) المقري – نفح الطيب – ج1– ص 163.

وقد أجمل وأشمل المقري في وصف المرية، وأعطى صورة واضحة عنها، أهميتها وموقعها وساحلها وتجارتها، وعن بساتينها وواديها وخيراتها، وحصانة المدينة ومناعة الأسوار، ومدنها وضياعها التابعة لها التي تزودها بالمحاصيل والخيرات .

كما جاء في كتاب جغرافية وتاريخ الأندلس - لمجهول - : " والمرية مدينة عظيمة على ساحل البحر وهي محدثة أحدثها العرب في الإسلام وكانوا يرابطون فيها وبنى سورها عبد الرحمان الناصر لدين الله 343هـ/954م، وهو سور منيع من صخر، وهي متقنة البناء وبديعة الشكل ولها قصبة عظيمة على رأس جبل قد أشرفت على المدينة، وعلى القصبة سور متقن ولا يصعد إليها إلا بكلفة ومشقة "[1].

1- الموقع والمناخ والخصائص الجغرافية :

تقع المرية الإسلامية في موضع عمراني فينيقي عرف باسم باستولوس Bastulos ثم خضعت للقرطاجيين ثم جاء بعدهم الرومان الذين أطلقوا عليها اسم بورتس ماجنس Portus Magnos، وهي في الطريق بين مدينتي مالقة ومرسية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط[2] .

وكانت المرية في العصر الإسلامي تقع على نفس المكان لألمرية الحديثة إذ تقع على شاطئ خليج واسع عميق يعرف اليوم بخليج المرية، وهو مرفأ ممتاز يمتد من رأس قابطة بني الأسود شرقا إلى رأس سابينال غربا (Porta del Sanibol) ويحدها من الغرب الركائز الأخيرة من جبال المرية وتؤلف فرعين من سلسلة جبال جادور Sierra de Gadoz المتفرعة من جبال شلير Sierra Nivada، أما من جهة الشرق في اتجاه ناجر Nijar فيمتد فحص مثلث الشكل وأراضي منبسطة

[1] مجهول- جغرافية وتاريخ الأندلس - ص 181.

[2] محمد أحمد أبو الفضل- تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي(منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها) 344- 484هـ/ 955- 1091م- الهيأة المصرية العامة للكتاب- الإسكندرية 1981- ص ص27، 30.

ما يزيد عن ثمانية أميال شرقي المرية بين سلسلة جبال رأس القبطة في الشمال الشرقي منها، ومنه تحيط الجبال بالمرية من كل الجهات ماعدا الجنوب والفحص الشرقي، وميزة الجبال أنها صخرية[1].

ويمتد شمال المرية مرتفع من الأرض يبعد عن البحر بـ 350 م ويمتد طولا بمحاذاة الساحل وهو الموقع الذي تقوم عليه حاليا ويرتفع بنحو 65 م عن سطح البحر، وتحيط به أجراف عديدة الانحدار، وينحدر من حافتي المرتفع شرقه وغربه واديين صغيرين يسميين برامبلاس Ramblas اشتقاقا من كلمة رملة وذلك لأنهما واديان أرضهما رملية، ويفصل هذا المرتفع عن الجبل الشمالي أخدود عميق فسيح يعرف باسم خندق باب موسى . أنظر الخريطة 6.

وأرض المرية جدباء لا ينبت فيها إلا نبات الحلفاء بينما المناطق الصالحة للزراعة في إقليم المرية تقع على وادي بجانة حيث تزرع فيها بكثرة أشجار التوت اللازمة لتربية دودة الحرير، وكان يصب على بعد أربعة كلم (4 كلم) شرقي المرية[2] كأنما غربلت أرضها من التراب[3] .

أما مناخ المرية فهو معتدل يسوده الجفاف، والسماء صحوة أغلب السنة والأمطار شحيحة، وتتعرض للرياح الشرقية الجافة المحملة بغبار أبيض بسبب الصخور الملحية المحيطة بها، وقد ساعد جفاف المرية أن شعاب الجبال التي شقتها السيول في اتجاه البحر عميقة لذلك قلما تحتفظ بمياه الأمطار لجريانها السريع نحو البحر[4].

---

(1) د/السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية(قاعدة أسطول الأندلس) مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية- 1984- ص14.

(2) د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- نفس المرجع- ص15.

(3) المقري- نفح الطيب- ج3- ص163.

(4) د/ محمد أحمد أبو الفضل- نفس المرجع- ص29.

2- بناء المرية والهدف من إنشائها :

استمر تطور الأندلس منذ فتح المسلمين لها تصاعديا، ونما عمرانها واتسعت مدنها وزادت كثافتها نظير الازدهار الاقتصادي والاجتماعي ونشاط سكانها المتزايد، وبلغت درجة من الرقي والتطور، وازدهرت العلوم إلى درجة كبيرة، ونبغ فيها الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء حتى أصبحت الأندلس منارة العلم والحضارة في غربي البحر الأبيض المتوسط ومركز إشعاع حضاري في أوروبا، ولم تضاهيها أي دولة أو مملكة من ممالك النصارى، وغدت مثالا في الدول الحضارية الراقية .

ولما صارت الأمور إلى الأمويين شهدت الأندلس نشاطا واضحا سجله أمراء وخلفاء الدولة الأموية الذين حرصوا على إحاطة دولتهم بمظاهر الترف والفخامة، فشجعوا بكل طاقتهم البنيان وتعمير المدن، فظهرت مدن جديدة وتوسعت أخرى وشيدت القصور الفخمة وبنيت الجسور والحدائق ، وأول من نشط في هذا الميدان الأمير عبد الرحمان الداخل (الأول)138-172هـ (756-788م)، ثم الأمير عبد الرحمان بن الحكم بن هشام(الأوسط)206-238هـ (821-852 م)، وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمان الأوسط 238-272هـ (852-885 م) تأسست بطليوس وبجانة[1].

إن تأسيس مدينة المرية يرتبط ارتباطا وثيقا بتأسيس مدينة بجانة فتاريخهما مشترك، وقد تبادلت المدينتين الأدوار والأهمية في نفس الوقت وقبل التكلم عن المرية لابد من الإشارة إلى بجانة وكيفية تأسيسها. فالفضل يعود إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (الأوسط) 238هـ-272هـ الذي أمر بتشييدها، وهي تقوم على أصول قديمة لمدينة رومانية تدعى أرشي URCI في الطريق بين مالقة

---

[1] محمد أحمد أبو الفضل- نفس المرجع- ص ص 24، 27.

وقسطلونة (Castulo–Malaga) وفي العهد الأموي عمد الأمراء إلى توطين بعض العائلات العربية في هذا الإقليم لحماية الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس من غارات وهجمات النورمانديين (يقال لهم رجال الشمال وهم من اسكندينافيا)، فأنزلوا جماعة من العرب الغسانيين (قبيلة يمنية) هم بنو سراج القضاعيون ليقوموا بهذه المهمة أي حماية الساحل نظير امتيازات والتمتع باستقلال جزئي، ومن ذلك الوقت أصبح الإقليم يعرف بأرش اليمن نسبة إلى أرشي Urci القديمة واستوطن الناس في هذه المنطقة وتوافدوا عليها، وظل بنو سراج القضاعيون قائمين بالمهمة الموكلة إليهم، وأقاموا لهذا الغرض برجا للحراسة بالقرب من مصب وادي بجانة[1].

وفي عام 271هـ (844 م) نزل بهذا المكان (عند البرج) مجموعة من البحريين الأندلسيين كانوا يتنقلون بين الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس وسواحل شمال إفريقيا وبالتحديد ميناء تنس (حيث أسس البحريون ميناء تنس عام 262هـ)، بالاتفاق مع العرب الغسانيين أي أرش اليمن، وبالتدريج سيطر البحريون على مكان الحراسة ثم على كل بجانة [2]. وجعلوا من هذه المنطقة قاعدة لتجارتهم في الأندلس وصار الميناء يتردد عليه الكثيرون ويستقطب مزيدا من التجار الذين استقروا فيها[3].

وقد سمي هذا البرج الذي أقيم للحراسة والذي لا يبعد عن بجانة إلا بستة أميال (6 ميل) جنوبا بمرية بجانة، وهوعلى المرتفع الذي عليه المرية اليوم، ثم اتخذه المسلمون رباطا وثغرا لحماية أراضي المسلمين من الاعتداءات، وتوالى إنشاء الأبراج والمحارس بمرية بجانة[4].

---

[1] د/ السيد عبد العزيز سالم– تاريخ مدينة المرية الإسلامية– ص22.

[2] نفس المرجع- ص 23.

[3] مجموعة كتاب– فصول في تاريخ الأندلس(بداية النهاية)– ترجمة: د/ عبد الفتاح عوض– ط1– عين للدراسات والبحوث– القاهرة– 2001– ص ص36، 37.

[4] د/ السيد عبد العزيز سالم– تاريخ مدينة المرية الأندلسية– ص ص22،19.

ومن هذا فاسم المرية مشتق من وظيفتها ومن الغرض الذي أنشأت من أجله أي محرسا بحريا لمدينة بجانة ومراقبة ذلك الإقليم كما دعيت بفرضة بجانة أي مريتها[1]، وكان القائمون على المحرس ليلا يعرفون بالسمار وجرت العادة أن يقوموا بعملهم في مراقب عالية ملحقة بالرباط يطلق عليها اسم منائر وطلائع أو طوالع لكشف سفن العدو المغيرة وإعلام الناس بالهجوم وإذا كان الوقت ليلا وأقبل العدو أشعل الحراس نارا على قمم المحارس أو المراقب أو أثاروا دخانا أن كان الوقت نهارا، وربما يستعملون الطبول والنفير لتحذير أهالي الأماكن المجاورة[2].

وهكذا بدأت المرية أو مرية بجانة تزداد عظمة وهيمنة في حين بدأت تتضاءل بجانة وتفقد بريقها، وازدادت الأهمية عندما أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر 300-350هـ (912-962م) ببناء وتعمير المدينة وتحصينها، ولم تلبث أن صارت أشهر مراسي الأندلس وأعمرها، ونما عمرانها واتسعت رقعتها وسكنها الناس، وأصبحت قاعدة الإقليم، وأقام بها عبد الرحمن الناصر منشآت عديدة كدار صناعة السفن[3] التي أنتجت أعداد كبير من المراكب وعدة القتال وآلات الحرب اللازمة، وكان خليجها يضم معظم قطع أسطول الأندلس وأحاطها بسور منيع، وأقام على أحد جبليها قصبتها المنيعة، وأحاطها كذلك بقلاع وحصون لزيادة المنعة وتحسين الدفاع عنها، ومن حصونها حصن برجة في جنوب غربها إلى وادي خصب، وحصن شنش، وحصن القبطة في جنوب شرقي خليجها، إضافة إلى المزايا التي يتوفر عليها الخليج فهو شديد الاتساع والعمق مما يجعله قادرا على استيعاب عدد كبير من السفن[4] .

---

[1] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص19.

[2] د/ محمد أحمد أبو الفضل- نفس المرجع- ص ص50،48.

[3] د/ السيد عبد العزيز سالم- نفس المرجع- ص31.

[4] نفس المرجع- ص ص42،39.

ومنه فان إنشاء المرية غرضه استراتيجي عسكري بالدرجة الأولى لحماية سواحل جنوب شرق الأندلس، وما لبث أن تحول هذا الهدف إلى ظهور مدينة حديثة ذات موقع استراتيجي وبأبعاد اقتصادية أيضا.

3- أهمية موقع المرية :

إن الملاحظ لموقع المرية وخصائصها الجغرافية يدرك أهمية هذا المكان ومناعته الطبيعية، فهي على مرتفع جبلي قبالة البحر ما يضمن للناس أو الحراس ر ؤية جيدة وعلى مسافة بعيدة لأي مراكب قادمة تريد الإغارة على أراضي المسلمين في تلك الجهة، كما أن الجبال والمرتفعات تحيط بها من كل الجوانب ماعدا الجنوب جهة البحر، وقد زاد من حصانة المدينة ومناعتها خليجها الواسع الهادئ وقلة الأمواج، والعمق حيث يستوعب مراكب عديدة، وبعد بنائها تحول ميناءها إلى قاعدة صناعية لإنتاج السفن، ومنطلق الأسطول الأندلسي في عهد عبد الرحمن الناصر لرد الغارات وغزو الفرنج، وكانت معظم وحدات الأسطول ترابط في القاعدة الرئيسية لمواجهة الأخطار كخطر الفرنج كما سبق والخطر الفاطمي، وهكذا بدأت المرية منذ تأسيسها تتبوأ الريادة البحرية الأندلسية[1].

إضافة إلى ذلك فالمرية ترتبط بشبكة طرق مع عدة مدن أخرى لا تبعد عنها إلا بمسافات ليست بالطويلة، حيث من المرية إلى بجانة سوى ستة أميال، وبينها وبين وادي آش مرحلتان (25 ميل)، وبينها وبين غرناطة مسيرة ثلاثة أيام، ومنها إلى حصن المنكب أربعة مراحل، و إلى مرسية خمسة أيام، ومنها إلى قرطبة مسيرة سبعة أيام[2]. (مسيرة يوم تساوي مرحلة أي حوالي 25 ميل).

---

[1] د/ مريم قاسم طويل- مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح 443- 484هـ (1051- 1091م)- ط1- دار الكتب العلمية- بيروت- 1994- ص13.

[2] نفس المرجع- ص12.

والمرية على شكل مستطيل يبلغ طوله حوالي 650 م وعرضه 350 م وبدأ العمران يتسع فيها منذ تأسيسها على حساب جارتها بجانة، ثم تبوأت مركز العاصمة (عاصمة الإقليم) في عهد خيران العامري حيث قصدها الناس من مختلف مدن الأندلس أيام الفتنة ولاسيما أهل بجانة لهدوئها وأمنها .

ونتيجة التدفق السكاني ضاقت المدينة ولم تعد مساحتها تكفي للسكن، فكان أن توسعت على جانبيها الشرقي والغربي فيما وراء الأسوار شرقا بامتداد الفحص الفسيح وهو سهل ساحلي كما سبق ذكره فتشكل الربض الشرقي، ومن جهة الغرب في المناطق الواقعة بين وادي الرملة (رملة لاشنكا) وبين جبل الكنيسة تشكل الربض الغربي[1].

وكان للمرية مدن تابعة لها أو أعمال تنحصر في بجانة وبرجة ودلاية شنش وطبرنش، أندرش ومرشان ودوجر.

* **بجانة : Pechina** بنيت في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (الأوسط) مكان قرية قديمة على سهل منبسط شمالي المرية على الضفة اليسرى لنهر أندرش .

* **برجة** : إلى الجنوب الغربي من المرية على نهر بهيج يعرف بوادي عذراء وهو كثير الجنان .

* **دلاية : Dalias** بلد ساحلي قريب من المرية .

* **حصن شنش** : هو على مرحلة من المرية وله واد يعرف بوادي طبرنش.

* **طبرنش : Tebernas** بلد كبير يقع شرقي المرية .

---

[1] د/ مريم قاسم الطويل– نفس المرجع– ص ص24،22.

* **أندرش : Andrax** مدينة مشهورة بهوائها النقي و جنانها الخلابة ونهرها المنساب الذي ينبع من جبل **شلير Sierra Nivada** وينحدر شرقا ثم يصب في البحر الأبيض المتوسط عند المرية[1]. وهي من أنزه البلدان[2].

* **مرشانة** : أو مرشان حصن يبعد عن المرية 18ميل.

* **دوجر** : حصن على وادي المرية على بعد 12 ميل منها[3].

وتواصل تقدم المرية في كل المجالات واتسع بنيانها حتى بلغ الذروة والعنفوان أواخر القرن الخامس الهجري وأوائل القرن السادس الهجري أين ازدهرت الصناعة والزراعة والتجارة .

4- العمران في المرية :

إن الغرض من إنشاء المرية بادئ الأمر هو حراسة بجانة وسواحل جنوب شرق الأندلس في تلك النواحي، ثم ما لبثت أن نمت بعد أن أمر عبد الرحمن الناصر ببنائها وتحصينها، وتطورت التجارة فيها عن طريق مرفئها، وتحول ذلك المركز العمراني البسيط الذي سكنه البحريون ببرجه وقلعته ومسجده الجامع إلى مدينة صغيرة مسورة[4].

وقد لعبت التضاريس وطبيعة السطح دورا في تخطيط المدينة و إنشاء أسوارها المحيطة بها، فالمدينة كانت مستطيلة الشكل تمتد من القلعة المعروفة بقلعة خيران القائمة بأعلى جبل القصبة شمالا وبين ساحل البحر جنوبا، ويحدها شرقا وادي ضحل عموديا تقريبا من الطرف الشرقي للقصبة نحو البحر، وواد آخر يعرف برملة لاشنكا فيتجه من الخندق الفاصل بين جبل الكنيسة والقسم الغربي من

---

[1] د/ مريم قاسم طويل- نفس المرجع- ص ص25.

[2] الحميري- الروض المعطار- تحقيق إحسان عباس- ط1- مكتبة لبنان- بيروت- 1975- ص42.

[3] د/ مريم قاسم طويل- نفس المرجع- ص 26.

[4] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص109.

جبل القصبة في نفس اتجاه الوادي الشرقي ويصل السورين الشرقي والغربي سور قبلي يمتد بمحاذاة البحر كأنما أراد بناتها الاستفادة من التضاريس لتحصينها[1].

ومع اشتداد الفتنة توافد على المرية الناس لكونها مكان مناسب للحياة الهادئة التي لا تتوفر في غيرها من مدن الأندلس بعيدا عن الصراع المستعر بين البربر والأندلسيين، وكان أن زاد عدد القاطنين حتى ضاقت بهم المدينة وأصبح من الضروري أن يفيض الناس على جانبي المدينة شرقا وغربا وراء الأسوار، وفي هذين الاتجاهين تكون الربضين الشرقي والغربي فالأول يسمى بربض المصلى (وباسم الشريعة القديمة) بامتداد الفحص الفسيح لألمرية، والآخريسمى بربض الحوض ربما لوجود جب كبير في المنطقة المحصورة بين وادي الرملة (رملة لاشنكا) وبين جبل الكنيسة، ولتأمين الربضين من الغارات في هذا العصر المضطرب كان لابد من تحويطها بأسوار[2].

ويقال أن خيران العامري أحاط الربض الشرقي بسور وأوصل إليه الماء، ونفس الشيء بالنسبة للربض الغربي، وهكذا كانت المرية في الربع الأول للقرن الخامس الهجري تتكون من أربع مراكز عمرانية، الأول يتمثل في المدينة الداخلية أو الوسطى، والقصبة تقع شمالي المدينة على جبل مرتفع يفصله عن الجبل الشمالي الشرقي أو جبل لأهم خندق يسمى بخندق باب موسى، وربض المصلى وربض الحوض، وفي عصر المرابطين أصبحت المرية مدينة عامرة زاهرة، كثيرة الخيرات مكتظة بالسكان وبلغ عمرانها ذروته في هذا العصر[3].

[1] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص110.

[2] نفسه، ص112.

[3] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص ص 113، 114.

أ – المدينة القديمة :

تعتبر النواة الأولى للمدينة التي أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر بناءها ومساحتها 19,5 هكتار بدون حساب القصبة ويقوم في وسطها المسجد الجامع وكانت الأسواق والفنادق والحمامات تتوزع حول ساحته، وتقع القيسارية جنوبي المسجد، أما دار الصناعة فكانت تحتل الركن الجنوبي الشرقي من المدينة لصق السور المحاذي للبحر[1]. أنظر الخريطة 6 و7.

ب– الربضين :

يعتبران المكان الذي به أكثر كثافة سكانية ولاسيما الربض الشرقي (ربض المصلى) الذي يمتد على سهل فسيح، وكانت المرية تضم شبكة من الطرق والدروب والحارات والأزقة المتفرعة من الشوارع الرئيسية، وما يميز هذه الشوارع أنها متسعة ومنتظمة التخطيط على عكس نظرائها من مدن الأندلس [2]. أنظر الخريطة 6 و7.

جـ– القصبة :

تعرف بقصبة خيران الذي ولي المرية أيام حجابة المنصور محمد بن أبي عامر، وتمتد على الهضبة المقامة عليها من الشرق إلى الغرب وكان لها بابان جنوبي وشرقي يؤديان إلى المدينة الداخلية، أما الجنوبي فينفتح في طريق منحدر طوله 140 م، أما الباب الشرقي ينفتح على طريق سهل نحو المدينة، وضمت القصبة في نطاقها المسجد الجامع ومنشآت أخرى (كالسجن) وقصور كالقصر الذي بني في عهد خيران، وإلى جانبه شيد المعتصم قصر الصمادحية[3] . أنظر الخريطة 6 و7.

د – الأبواب :

(1) السيد عبد العزيز سالم– تاريخ مدينة المرية الإسلامية– ص115.
(2) نفسه– ص120.
(3) نفسه– ص122.

- **باب بجانة :** ينفتح على الطريق المؤدي إلى مرسية وغرناطة، وهو شديد الحركة لعبور الناس المتزايد وهو على السور الشرقي للمدينة الداخلية، وبعد بناء الربض الشرقي فتح باب آخر يعرف بباب برشانة .

- **باب العقاب :** في منتصف السور الشرقي لربض المصلى يؤدي إلى الفحص .

- **باب موسى :** ينفتح في سور الخندق من جبل لأهم وجبل القصبة .

- **باب الزياتين :** في السور الجنوبي للمدينة القديمة وسمي بذلك لوجود معاصر الزيتون قرب الساحل ليسهل تصدير الزيوت فيما بعد .

- **باب المرسى :** في منتصف السور القبلي للمدينة القديمة قرب دار الصناعة .

- **باب البحر :** قريب من البحر فيخرج الناس إلى المرفأ جهة ربض المصلى .

- **باب مقبرة الحوض :** ينفتح في السور القبلي لمقبرة الحوض (ربض الحوض).

كما يوجد في المرية أبواب أخرى كباب الخروج في السور الغربي للمدينة القديمة وباب كارميا Carmia، باب الصورة Imagina وباب العجلات اللذان يؤديان من المدينة الداخلية إلى ربض المصلى[1].

5- تاريخ المرية :

مرت المرية منذ بنائها حتى قدوم المرابطون ودخولها تحت حكمهم بفترات تاريخية مختلفة، والميزة المشتركة بين هذه الفترات أن المرية كانت دوما محط اهتمام وعناية من قبل الحكام، وازدهارها في استمرار والتقدم الاقتصادي والاجتماعي، فيما عاد بالفائدة على المدينة وسكانها حيث نما واتسع العمران وتوفرت المرافق الاجتماعية والاقتصادية بشكل سهل من حياة السكان .

أ- العهد الأموي :

[1] السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص ص 124، 128.

حظيت المرية منذ تأسيسها باهتمام خاص من طرف الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي حصنها وأحاطها بأسوار وحصون، وأنشأ بها دارا لصناعة السفن، كما اهتم بها من جاء من بعده لمكانتها كقاعدة رئيسية للأسطول في الأندلس وكانت قاعدة لكورة تدمير، وبدورها تنقسم المرية إلى أعمال يتضمن كل منها عدد من القرى، وأشهر من تولى حكم المرية ذلك الوقت القائد المشهور محمد بن ر حامس قائد الأسطول ثم جاء بعده عدد من العمال[1]، و هذه الفترة مقارنة بعمر المدن أو الدول قصيرة اذ ما لبثت أن سقطت الخلافة الأموية مع مطلع القرن الخامس الهجري .

ب- فترة الصقالبة :

في بداية القرن الخامس الهجري (10م) ظهرت بوادر الفتنة في الأندلس ونشبت العنصرية المقيتة، وانتشرت الفوضى والفتن في كل مكان وأظهرها في قرطبة، فانتزى الرؤساء والولاة على اختلاف أجناسهم في أنحاء الأندلس واقتسموا أعمالها، وتغلب كل إنسان على شيء منه فصاروا مثل ملوك الطوائف وكان ذلك أضر شيء على المسلمين [2]، وصار في كل مدينة دولة، ولكل دولة حدود وبلاط ورجال [3]، ومن جملة المنتزين الصقالبة أو العامريين نسبة إلى المنصور بن أبي عامر الذي استكثر منهم في البلاط الأموي وفي الجيش حتى صاروا ذوي مكانة وكلمة في الدولة، قلنا استبدوا بشرق الأندلس ومن جملتهم خيران الصقلبي (العامري) الذينوجه أولا ثم إلى مرسية ثم قصد المرية التي كانت بيد أفلح الصقلبي فقضى عليه وعلى ابنه شهر محرم 405 هـ (1014 م)[4]. أنظر الخريطة 9.

[1] د/ محمد أحمد أبو الفضل- نفس المرجع- ص ص78،81.
[2] ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ج7- ص 628.
[3] د/ شاكر مصطفى- الأندلس في التاريخ- منشورات وزارة الثقافة- دمشق- 1990- ص75.
[4] د/ محمد عبد الله عنان- دولة الإسلام منذ قيامها حتى الفتح المرابطي- ط1- مطبعة لجنة التأليف- القاهرة- 1960- ص157.

ومن ثم صارت قاعدته الرئيسية وحاضرته وعاصمة دولته، وعمل على تنميتها، وضبطها وتحصين قصبتها ودعم أسوارها، واهتم بالعلوم والآداب، وشجع العلماء والأدباء حتى غدت المرية من أعظم مدن الأندلس، واستمر خيران في نشاطه وتسيير شؤون مملكته حتى وفاته عام 419هـ/1028م [1].

وبعد وفاة خيران خلفه زهير الصقلبي (الفتى أو العامري) فاستمر على نهج سابقه في تقوية المرية وتحصينها، وكان يشاور العلماء والفقهاء، وبنى مسجدا في المرية وآخر في بجانة، واتسعت المرية اتساعا كبيرا فوصلت حدودها إلى نواحي قرطبة، وإلى بياسة والفج من أول طليطلة ودام حكمه عشر سنوات [2]. أنظر الخريطة 9.

ج- بنو صمادح :

لما توفي خيران وزهير لم يبق في المرية في مكانتهما وحزمهما أحد فأوكل السكان أمرهم إلى شيخهم أبو بكر الرميمي فضبط النظام والأمن فيها وتولى شؤونها، إلى أن كاتب أهلها عبد العزيز بن عبد الرحمن (شنجول) بن محمد بن أبي عامر ببلنسية يدعونه إلى مدينتهم، فبادر عبد العزيز ودخل المرية أواخر 429هـ/1038م فبايعه أهلها وملك جميع أعمالها واستولى على بيت المال وأخذ ما فيه إلى بلنسية، لكنه لم يلبث فيها طويلا بعدما وصله خبر مهاجمة بلنسية من قبل مجاهد العامري صاحب دانية الذي استغل غياب عبد العزيز عنها فهاجمها، ثم قفل عبد العزيز راجعا إلى بلنسية تاركا ابنه عبد الله في المرية وهذا عام 430هـ (1038 م) وعين له وزيرا يساعده وهو أبو الأحوص معن بن محمد بن صمادح الذي يعود أصله العربي إلى قبيلة تجيب التي استوطنت الأندلس ولهم قرابة مع التجيبيين في سرقسطة، وكان أبو يحيى محمد بن صمادح (جد المعتصم) من أبرز قواد الحاجب المنصور بن

---

[1] د/ محمد أحمد أبو الفضل- نفس المرجع- ص105.

[2] لسان الدين بن الخطيب- الإحاطة في أخبار غرناطة- تحقيق: محمد عبد الله عنان- مجلد1- ط2- مكتبة الخانجي- القاهرة- 1973- ص518.

أبي عامر وقد لجأ وقت الفتنة الى عبد العزيز بن عبد الرحمن (صاحب بلنسية) عام 413هـ /1022م فصاهره هذا الأخير وزوج أختيه إلى ابني محمد بن صمادح معن وأبو عتبة[1].

لبث أبو الأحوص معن بن محمد بن صمادح في المرية يعين عبد الله بن عبد العزيز في إدارة أمورها، غير أن الطمع ألجأه بذكاء إلى السيطرة على المرية مستغلا صغر عبد الله وغياب أبيه عبد العزيز في بلنسية، فدعا لنفسه عام 433هـ (1041 م)[2].

لما استولى معن بن محمد بن صمادح على المرية عمل على كسب تأييد جيرانه وعدم الدخول في مواجهات معهم، ووجه اهتمامه للعلم والأدب فنعمت المرية في عهده بالاستقرار وعاش الناس في هدوء يسوده السلم والأمن والرخاء وظل يتولاها حتى وفاته عام 443هـ (1051م)، فخلفه ابنه محمد بن معن بن محمد بن صمادح الذي تلقب بالمعتصم، وكوالده ازدهرت المرية في عهده وتطور العمران وزاد البنيان (بنى قصر الصمادحية الشهير) واتسعت المرافق بشكل ملفت وكان المعتصم صاحب ذوق أدبي رفيع ومولع بالشعر وبلاطه ملتقى الأدباء والعلماء والفقهاء [3]. حتى امتد صيته واشتهر ذكره وعظم سلطانه والتحق بأكابر الملوك، ودام بها إلى أن نازله جيش الملثمين[4]. أنظر الخريطة 9 .

(1) د/ محمد أحمد أبو الفضل- نفس المرجع- ص 122.

(2) نفس المرجع- ص 118.

(3) نفس المرجع- ص137.

(4) ابن الأثير- الكامل- ج7- ص637.

6- المرية في عهد المرابطين :

امتاز عصر الطوائف الذي أعقب سقوط الدولة الأموية بالتنافر والضعف والصراعات بين ملوك وحكام الأندلس على حساب وحدة المسلمين وأراضيهم من أجل جني مزيد من الأموال والأراضي إلى أملاكهم، بينما كان النصارى يوحدون جهودهم ويجمعون عساكرهم للإغارة على المسلمين ودفعهم إلى الدخول في طاعتهم وإرسال الإتاوات والجزيات، وقد صاروا كما قال الشاعر :

مما يزهد في أرض الأندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحاكي انتفاخه صولة الأسد[1]

وكان يتزعم النصارى ذلك الوقت أواخر القرن 5هـ ملك قشتالة ألفونسو السادس الذي تمكن من احتلال طليطلة عام 478هـ (1085م) بعد حصار شديد، هذا الحدث كان ضربة قاصمة للمسلمين وملوكهم، ونذيرا لهم حيث استشعروا حقيقة الوضع وخطورته[2].

وبينما كانت الأندلس ممزقة ومضطربة، كانت الدولة المرابطية في أوج قوتها وقمة صعودها، فلجأ إليها الأندلسيين لنجدتهم ونصرة الإسلام في تلك الأرض، واجتهد المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية وابن الأفطس صاحب بطليوس ومعهم سائر حكام الأندلس في حض يوسف بن تاشفين وترغيبه في جهاد النصارى ودفع خطرهم وأذاهم، ونشير هنا أن المعتصم كان أقل حماسة في الاستنجاد بالمرابطين خوفا من سوء المصير بيدهم، ولأن مملكته كانت بعيدا عن خطر النصارى[3].

---

(1) عبد الواحد المراكشي- المعجب في تلخيص أخبار المغرب- مطبعة الثقافة- المغرب- 1938- ص43.

(2) د/ محمد أحمد أبو الفضل- نفس المرجع- ص142.

(3) د/ أحمد عزاوي- عصر الطوائف في الأندلس من خلال رسائل ديوانية (القرن5هـ/ 11 م)- ط1- مطابع الرباط- 2013- ص27.

جاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس فنزل بالجزيرة الخضراء ثم سار إلى الزلاقة عند بطليوس أين التقى بجموع النصارى في معركة حامية الوطيس انتهت بانتصار ساحق للمسلمين [1] وبفضل الزلاقة استنشق الأندلسيون نسيم الحياة بعد أن كانوا قد فقدوا الأمل في البقاء[2].

عاد يوسف بن تاشفين مكللا بالنصر الباهر إلى حاضرته مراكش، تاركا ملوك الطوائف الذين عادوا إلى وضعهم السابق من اختلاف وفوضى، بينما استرجع ألفونسو السادس أنفاسه واستجمع النصارى قواهم فهاجم أراضي المسلمين من جديد، الأمر الذي دفع حكام الأندلس إلى الاستنجاد بالمرابطين كرة أخرى، فجاز يوسف عام 483هـ/1091م وفي نيته استئصال شأفتهم و الاطاحة بعروشهم، وبدأ بغرناطة ومالقة وباقي المدن، وكان أن أرسل جيشا إلى المرية بقيادة أبو زكرياء يحيى بن واسنو لضمها[3]. وقد حوصرت برا وبحرا باحكام وأثناء الحصار مات المعتصم عام 484هـ/1091م فخلفه ابنه المعز لشهور معدودة ثم فر مع عائلته وأهله ودخل البحر في مركب قاصدا بني حماد في بجاية الذين أقطعوه دلس على ساحل البحر لإدارتها وملك الملثمون المرية ومن معها [4] وعند دخولهم المدينة كانت تخفق فوقهم الأعلام وتدق بين أيديهم الطبول [5]. وكان خروج المعز من المرية والفرار إلى بجاية بأمر أبيه وبوصية منه [6]. وبسقوط المرية في أيدي المرابطين تبدأ مرحلة جديدة استمرت زهاء ستين سنة حتى احتلتها جيوش النصارى من قشتالة وأراغون

---

(1) د/ محمد أحمد أبو الفضل- نفس المرجع- ص153.

(2) د/ أحمد عزاوي- نفس المرجع- ص15.

(3) د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص85.

(4) ابن الأثير- الكامل- ج7- ص637.

(5) رينهرت دوزي- المسلمون في الأندلس- ترجمة: د/ حسن حبشي- ج3- الهيأة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 1995- ص156.

(6) لسان الدين بن الخطيب- أعمال الإعلام- نقله بروفنسال- بيروت-1956- ص193.

وقطلونية ونبارة واشتوريس بقيادة ألفونسو السابع ملك قشتالة حيث حاصروها ثلاثة أشهر ثم دخلوها واستشهد الكثير من أهلها ومنهم العالم الرشاطي وأسر العديد من أهلها وأبكارها [1] وكان دخولهم عنوة يوم جمعة عام 542هـ/1148م [2] واستولوا على غنائم عظيمة[3].

وقد حاول الموحدون الذين خلفوا المرابطين استرجاعها عام 546هـ/1152م لكنهم فشلوا رغم وصولهم إلى الميناء وحرق السفن والأجفان الراسية به، وفي محاولة ثانية حاصروها عام 552هـ/1158م واستطاعوا دخول القصبة واسترداد المرية[4].

7- اهتمام المرابطين بالمرية :

اهتم المرابطون بالمرية اهتماما كبيرا وأولوها فائق العناية رغم انشغالهم بمدافعة النصارى ورد غاراتهم، فنالت شهرة واسعة في الصناعة والتجارة باعتبارها الميناء الأول في الأندلس [5] وجعلوا منها مركز صناعي وتجاري وملاحي[6] ومن أهميتها وعظم شأنها وليها الأمير تاشفين بن علي بن يوسف عام 522هـ/1128م[7] والذي صار أميرا للمسلمين بعد وفاة أبيه عام 537هـ/1138م .

[1] د/ عبد الرحمن علي الحجي- التاريخ الأندلسي(من الفتح حتى سقوط غرناطة)- ط2- دار العلم- دمشق- 1981- ص446.

[2] المقري- نفح الطيب- ج4- ص461.

[3] د/ مريم قاسم طويل- المرجع السابق- ص52.

[4] د/ صالح بن قربة- عبد المؤمن بن علي- منشورات وزارة الثقافة- الجزائر- 1985- ص47.

[5] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص88.

[6] سراج الدين ابن الوردي- عجائب البلدان- تحقيق: أنور محمود زناتي- ط1- دار الآفاق العربية- القاهرة- 2011- ص32.

[7] لسان الدين ابن الخطيب- الإحاطة- مجلد1- ص446.

كما تعتبر المرية من أكبر القواعد الأندلسية للأسطول المرابطي الذي كانت معظم قطعه ترسو بمرفئها يقوده أمير البحر محمد بن ميمون على أتم الاستعداد لتلبية الأوامر [1] هذا القائد الذي قهر النصارى في البحر وملأ صدور أهلها رعبا[2].

وقد اشتغل المرابطون بعد دخولهم المرية دار الصناعة بها لبناء السفن وصار بحوزتهم أسطول حربي كبير، واستخدموا ميناءها الواسع والهادئ الذي يحمل سفن كثيرة كقاعدة بحرية تنطلق منها المراكب مما سمح لهم بالسيطرة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط[3].

وكان يرسو بمرفأ المرية سفن كثيرة متعددة الأنواع والأشكال فمنها من يستخدم للقتال والهجوم، ولنقل المقاتلين والمؤونة مثل : **الحراريق** (حراقة) ترمي بالنيران كالنار الاغريقية، و**الأغربة** (غراب) سفن قتالية، و**الشواني** (شينية) سفن كبيرة مزودة بأبراج وقلاع للقتال تجذف بعدد هائل من المجاذيف، و **البطس** (بطسة) وهي سفن عظيمة الحجم من عدة طبقات، و **الحمالات** (حمالة) لحمل ونقل الغلال، و **الشلنديات** (شلندي) مراكب كبيرة لحمل المقاتلين والسلاح والبضائع، **الطرايد** (طرادة) صغيرة الحجم لكنها سريعة، و**العشاريات** (عشاري) وهي صغيرة وخفيفة تستعمل كقوارب نجاة، و **المسطحات** (مسطحة) وهي بعدد كبير ذات حجم هائل من أضخم سفن الأسطول، **القراقير** (قرقور) كذلك تمتاز بالضخامة لحمل مؤن الأسطول[4].

[1] د/ حمدي عبد المنعم محمد حسين- التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين- دار المعرفة العلمية- القاهرة- 2008- ص312.

[2] المقري- نفح الطيب- ج3- ص20.

[3] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص50.

[4] د/ محمد أحمد أبو الفضل- المرجع السابق- ص61.

الفصل الثالث:

المجتمع والمدينة

1-عناصر المجتمع

2- فئات مجتمع المرية

3- المدينة

4- السكان

امتازت المرية في العصر المرابطي بحياة اجتماعية نشيطة وحيوية ساهم فيها كل السكان على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم، وزاد من الحيوية المركز المتقدم للمرية بين مدن الأندلس باعتبارها قاعدة أولى للمرابطين يرسو بها الأسطول المدافع عن السواحل الأندلسية، ومركز اقتصادي وتجاري أساسي، وقطب صناعي وزراعي مزدهر، ما جعل الناس يتوافدون عليها للاستقرار والعيش أو مؤقتا للعبور أثناء سفرهم أو تجارتهم، وبالتالي كانت المرية عامل جذب للاستقرار البشري .

1 – عناصر المجتمع :

عرف مجتمع المرية عناصر مختلفة وأجناس عدة استقروا فيها نظرا للمؤهلات التي تتوفر عليها والامتيازات التي تقدمها لساكنيها من مسكن وعمل، فسكن فيها العرب والبربر والصقالبة والسود والنصارى واليهود على اختلاف مستوياتهم .

أ- العرب:

يعتبر العرب من أوائل من دخل إلى بلاد الأندلس أثر الفتح الإسلامي لها، فجاءوها فرادى وجماعات وقبائل، وبقي عدد كبير منهم في الأندلس واستقروا هناك بعدما وجدوا سبل الحياة المريحة من أراضي وخيرات كبيرة، واستمرت الهجرة العربية دون انقطاع [1]. كما أن العرب استقروا في بجانة عند قيامها وهم بنو سراج القضاعيون أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط أواخر القرن الثالث الهجري[2] وكان دورهم على الساحل حراسة تلك الناحية من هجمات الأعداء والقراصنة. وكان التشابه بين البيئة العربية والبيئة الأندلسية وخصوبة الأراضي يعمل على جذب المزيد من العرب الذين توافدوا أيام المرابطين الذين تميز عهدهم بانخفاض حدة النعرات العصبية، وقد استوطن العرب المرية كباقي مدن الأندلس.

---

(1) د/ صلاح خالص- المرجع السابق- ص29.

(2) د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص ص19، 22.

وقد خرج منهم الكثير عند استيلاء النصارى عليها عام 542هـ/1148مـ [1]، ومنهم من سكن المدينة فاشتغلوا في التدريس والإمامة والنساخة وما إلى ذلك من أمور تتعلق بالتعليم والدين [2]، أما من قطن في الأرياف فامتهنوا الغراسة والجنان وخدمة الأرض، وكذلك نسج الحرير وبيعه، نسج الكتان، بيع الفواكه والعطور [3].

ب- البربر:

قطن البربر المرية فيمن قطنها لتوفر فرص العمل وسبل الحياة، وقد دخلوا فاتحين واستمر انتقالهم إلى الحواضر الأندلسية كالعرب دون انقطاع [4]. وفي فترة المرابطين شكل البربر قوة كبيرة، وتولى اللمتونيون وظائف الدولة المختلفة، وأصبحوا ذوي شأن ومكانة، وقد تم استدعاؤهم لردع خطر النصارى، فنزلوا المدن والثغور إضافة إلى البربر الآخرين الذين توافدوا وتدفقوا على الأندلس كهجرتي عام 515هـ/1122م وعام 535 هـ/1141م، ويمكننا تمييز فترات لدخول البربر إلى الأندلس بشكل جماعي كبير، فترة الفتح الإسلامي، وأيام الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي استدعى قبائل بربرية لضمها في جيشه، وفترة المرابطين، وقد سكن البربر المدينة والأرياف، ففي الريف اشتغلوا كمزارعين وفلاحين ومربين وامتهنوا حلب الأبقار وتربية الماشية وزراعة القمح والشعير، وفي إنتاج الزيوت والعسل والسمن والصوف، وفي الجبال امتهنوا قطع الأخشاب وإعداد الفحم، وفي المدن عملوا في ظفر الحلفاء، وصناعة الأوعية المختلفة، وصيد الطيور، وبيع السلع في الأسواق وغيرها من المهن[5] كالتجارة والبناء[6].

---

(1) د/ إبراهيم القادري بوتشيش- نفس المرجع- ص43.

(2) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين(عصر الطوائف الثاني)- ط1- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1988- ص282.

(3) نفس المرجع- ص304.

(4) د/ صلاح خالص- نفس المرجع- ص31.

(5) د/ إبراهيم القادري بوتشيش- نفس المرجع- ص35.

(6) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص283.

جـ – المولدون:

وهم عنصر سكن المرية كباقي العناصر، أصلهم نصارى أسلموا، وكذلك من ولد لأب مسلم وتربى بتربية الإسلام وعلى عادات المسلمين فهم مولدون وقد كان المولدون أكثر نشاطا [1]، واستوطنوا المدينة والأرياف والجبال واندمجوا في عدة نشاطات، فمن سكن الريف امتهن تربية الماشية والزراعة أما سكان الجبال فغرسوا الأشجار والفواكه، واشتغلوا في قطع الأخشاب، ومن قطن المدينة فأكثر المهن التي مارسوها صيد الأسماك وركوب البحر وصناعة السفن[2].

د– المستعربون:

هم من أهل الذمة نصارى بقوا على دينهم، واستعربوا لغة ولباسا وعادات وتقاليد، شكلوا عنصرا من عناصر مجتمع المرية، وكان وجودهم سابقا للمرابطين، كما شكلوا جمهرة في الأندلس [3] واستقروا في المدينة وفي البادية وكان على رأسهم مسؤول منهم يسمى قومس لإدارة شؤونهم والتعامل مع السلطات المرابطية، ولهم قاض خاص بهم [4] .أما مجالات العمل التي دخلوها فهي عديدة ومتنوعة كالإدارة والحرس والجيش، صناعة الأسلحة وحفظ الذخائر، الطب والتجارة [5]، واشتغل المستعربون في الدباغة والحياكة وصناعة الفخار والقدور، صناعة النحاس وسبك الحديد، صناعة الصابون وعصر الزيتون، النجارة والأثاث، ضرب العملة وصك النقود [6] وعاش المستعربون في المرية يزاولون شعائرهم بسلام [7].

أنظر الخريطة 4 .

---

(1) د/ عصمت عبد اللطيف دندش– نفس المرجع– ص250.

(2) د/ إبراهيم القادري بوتشيش– نفس المرجع– ص44.

(3) يوسف أشباخ– نفس المرجع– ص154.

(4) خير الله طلفاح– حضارة العرب في الأندلس– ج6– دار الحرية للطباعة– بغداد– 1977– ص161.

(5) يوسف أشباخ– نفس المرجع– ص75.

(6) عصمت عبد اللطيف دندش – نفس المرجع– ص284.

(7) د/ مريم قاسم طويل– نفس المرجع– ص70.

هـ- الصقالبة :

أطلق المسلمون بالأندلس اسم الصقالبة * على الرقيق والعبيد السلاف – العنصر السلافي من بحر قزوين إلى أواسط أوروبا – بادئ الأمر، ثم عم هذا الاسم جميع العبيد وأسرى الحروب من الأمم المسيحية جمعاء، وكان وجودهم كذلك سابقا لقدوم المرابطين إلى الأندلس، كما سموا في تلك الفترة بالحشم والروم، والعلوج والفتيان، وقد استعملهم المرابطون في وظائف الدولة كجباية الضرائب وفي الجيش وفي بلاط الولاة[1] .

و- السودان:

السودان أو السود تواجدوا أيضا في المرية على عهد المرابطين الذين اعتمدوا عليهم في غزواتهم وحروبهم، وفي الأسطول للتجذيف والخدمات الأخرى، كما تم استخدامهم في الأعمال المختلفة التي تتطلب مجهودات وفي العديد من بيوت الأسر الغنية[2].

---

[1] يوسف أشباخ- نفس المرجع- ص47.

[2] د/ إبراهيم القادري بوتشيش- نفس المرجع- ص50.

* ابن حوقل- المسالك والممالك- مطبعة لندن- لندن- 1872: الصقالبة أو الخصيان- بلدهم طويل فسيح من بحر الروم إلى ماوراء القسطنطينية، يقوم التجار اليهود باخصائهم- ص75.

ي- اليهود:

إن وجود اليهود في الأندلس قديم قبل الفتح الإسلامي، وقبل مجيء المرابطين وتمتعوا بوضع مريح نسبيا طيلة عهد علي بن يوسف، يرأس طائفتهم شخص منهم يسمى مقدم أو نعمان للتواصل مع المرابطين، وكان اشتغالهم بالزراعة قليل في البوادي، بينما أقام معظمهم في المدينة حيث مارسوا التجارة ولاسيما أن المرية تعتبر محطة تجارية، كما اهتموا بالصياغة (صناعة الحلي وبيعها) وصناعة الحرير والزجاج[1]، وكان التجار اليهود في المرية بعدد لا بأس به في عصر المرابطين [2] وإلى جانب التجار اهتم اليهود بالدلالة والصيرفة [3]. ويظهر من المهن التي مارسها اليهود أنهم كثيري الاهتمام بمجال الأعمال. ويعملون على التحكم في حركة الأموال.

---

(1) د/ إبراهيم القادري بوتشيش- نفس المرجع- ص97.

(2) بيار غيشار- التاريخ الاجتماعي لاسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين- ترجمة: مصطفى الرقي- ط1- ج2- مركز الدراسات للوحدة العربية- بيروت- 1998- ص986.

(3) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص284.

2 – فئات مجتمع المرية :

إن نشأة الفئات في أي مدينة والتفاوت فيما بينها مرده إلى نشاط السكان الذي تجاوز الحاجات البسيطة الضرورية للاستهلاك وتعداه إلى اقتصاد التبادل وخلق فرص التنافس مما يؤدي إلى حدوث تفاوت بين الأفراد، ومن خصوصيات التنظيم الاجتماعي في المدينة أنه تنحل علاقات القرابة وتظهر علاقات العمل والملكية والتبادل، فالناس في المدينة يجتمعون على أساس المكانة التي يحتلونها في تقسيم العمل، والثروة التي يملكونها، وتلعب الفئة الأرستقراطية ولاسيما التجارية منها دورا هاما في انحلال العلاقات العصبية وظهور الفئات [1] كما ارتكزت الفئات الاجتماعية على أساس الثروة وملكية وسائل الإنتاج[2] خصوصا وإن مدينة المرية تعتبر مركزا هاما للصناعة والتجارة والاقتصاد في الأندلس .

ويمكننا تمييز خمسة فئات في المرية، فئة الأرستقراطية، والفئة الوسطى، وفئة العامة، وأهل الذمة والعبيد .

أ– فئة الأرستقراطية : (فئة الخاصة)

تتألف فئة الأرستقراطية أو الخاصة من القائمين على الحكم والإدارة والجيش والقضاء والعلماء والموظفين، وقد شكل المرابطون منظومة الحكم وهم أصحاب السيادة، إضافة إلى العلماء الذين تبوءوا مكانة مرموقة، واحتلوا مرتبة هامة خاصة أن المرابطين أقاموا دولتهم على أسس دينية وأخلاقية [3].

ونظيف إلى المرابطين والعلماء قادة الأسطول الذي يعتبر ركنا أساسيا في دعائم الدولة المرابطية،

[1] د/ إبراهيم القادري بوتشيش– نفس المرجع– ص119.

[2] نفس المرجع– ص131.

[3] د/ حمدي عبد المنعم حسين– نفس المرجع– ص150.

وأهم قطعة وأكثرها ترسو في ميناء المرية، وقد تولت أسرة ابن ميمون لوقت طويل قيادة السفن والأسطول الحربي للمرابطين[1].

أما من ناحية الوضع المالي والاجتماعي، فان فئة الخاصة عاشت حياة رغيدة من حيث المسكن والمأكل والملبس، تملك الأراضي والعقارات والبيوت الفخمة وعدد لا بأس به من الجواري والخدم، ولا تعان شظف العيش، وتعب العمل و الكسب، ويحتل أفرادها مكانة مرموقة في المجتمع.

ب- الفئة الوسطى :

ترتب على ازدهار الصناعة والتجارة في المرية أن وجدت فئة من الناس وسيلة للعيش وفرص كبيرة للعمل والاغتناء، ولاسيما مع النهضة الاقتصادية التي عرفتها المدينة، وتتألف هذه الفئة من الملاك الكبار والصغار، والتجار الكبار والحرفيين، وأصحاب الصناعات، والموظفين الصغار، ورجال العلم والأدب وهذه الفئة وأن لم تتمتع بمزايا فئة الأرستقراطية من ترف وبذخ في حياتها ومساكنها وثرواتها، فإنها في نفس الوقت لم تقاس صعوبة الحياة وشدة العيش مثل عديد الناس من العامة [2]، وما يهم هذه الفئة هو الاستقرار والهدوء لمزاولة نشاطاتها وأعمالها بعيدا عن الاضطرابات والفتن، وهذا ما عاشته المرية أيام المرابطين .

ج- فئة العامة :

ويمكننا أن نسميها مجتمع العامة بما أنها تشكل غالبية سكان المرية ومعظم قاطنيها سواء في محيط المدينة أو خارجها في الأعمال التابعة لها، وعناصر هذه الفئة احترفوا معظم المهن في مختلف المجالات كالزراعة والصناعة والتجارة والنشاطات الإضافية المكملة، وقد زاد نشاطها نتيجة الازدهار

---

(1) د/ إبراهيم القادري بوتشيش- نفس المرجع- ص150.

(2) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص281.

الاقتصادي في المرية وفتحت أمامها مجالات العمل [1] وتألفت هذه الفئة من الصناع والتجار والمزارعين والحرفيين .

*** التجار :**

كان للتجار أهمية كبيرة ودور رائد في مجتمع المرية، وقد وجدوا كل التشجيع والدعم من قبل المرابطين، وتوفرت لديهم المرافق كالأسواق والقيساريات والحوانيت والفنادق، وألغيت الضرائب التي تفوق طاقتهم والتي كانت سببا في تعطل أعمالهم، وصار بوسع التجار مزاولة نشاطهم وتنمية ثرواتهم طالما يدفعون ما عليهم من ضرائب شرعية، وشارك التجار في الحياة الاجتماعية بكل ما لديهم[2].

*** الصناع :**

شكل الصناع والحرفيين جانبا من مجتمع المرية، وانخرطوا في النهضة الاقتصادية التي عرفتها المدينة، وبرعوا في صناعات عديدة التي اشتهرت بها المرية كالمنسوجات، والصناعات المعدنية وصناعة السفن ...وصار الصناع موضع تقدير واحترام من قبل الحكام والولاة[3].

*** المزارعون :**

بلغت الزراعة في المرية مبلغا عظيما، وصار المزارعون يهتمون بخدمة الأرض وفلاحتها، حيث توفرت الخيرات والمحاصيل المتنوعة من خضر وفواكه وزيتون وماشية في ظل دعم المرابطين للمزارعين بإلغاء الضرائب الفادحة التي أعيت كاهلهم[4].

---

(1) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص285.

(2) د/ حمدي عبد المنعم محمد حسين- نفس المرجع- ص338.

(3) نفس المرجع- ص339.

(4) نفس المرجع- ص339.

د- فئة أهل الذمة :

نعني بأهل الذمة النصارى واليهود الذين بقوا على دينهم وعاداتهم، وعاشوا بين المسلمين يمارسون شعائرهم ومعتقداتهم بسلام على مر السنين ماداموا هادئين وطائعين للدولة، وكانوا جزء لا يتجزأ من مجتمع المرية والحياة العامة فيها، وقد مارس أهل الذمة عدة نشاطات سواء في التجارة والصناعة أو الزراعة، وقد تعامل معهم المرابطون بما أقرته الشريعة والسنة النبوية الشريفة في تخييرهم بين الإسلام أو دفع الجزية مقابل تمتعهم بالحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم(1). أنظر الخريطة 3 و4.

هـ- فئة العبيد :

يشكل العبيد في المرية فئة بحد ذاتها، وكانوا ملكا لأسيادهم يتصرفون فيهم كما يشاءون، خاصة ملاك الأراضي الذين استعملوهم في خدمة الأرض كقوة عمل في الإنتاج، وسواء العبيد من صقالبة أو سود فقد استخدموا في الزراعة والصناعة وفي الجيش وفي الأسطول أو كخدم في البيوت والقصور (2). وعلى العموم لم يكن للعبيد أموال أو منازل، ولم يشكلوا تأثيرا في حياة المجتمع في المرية رغم أهميتهم في مختلف الأعمال .

3- المدينة :

احتلت المدينة في التاريخ الإنساني مكانة خاصة منذ أقدم العصور إذ كانت تمثل مركز الكثافة السكانية مع تنوع العناصر والفئات والطوائف والمواهب، واختلاف الأمزجة مما يترك أثرا واضحا في الحياة الاجتماعية داخلها، حيث عرفت المدينة بكونها مركز للمال، والنشاط الاجتماعي والاقتصادي.

---

(1) د/ حمدي عبد المنعم محمد حسين- نفس المرجع- ص337.

(2) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص286.

وظلت المدينة في كثير من الأحيان تمثل المراكز الحيوية للنشاط الإنساني يقصدها الناس من كل حدب وصوب، وتحط بها القوافل التجارية محملة بالبضائع وترسو بها السفن والمراكب في حركة دؤوبة من مختلف الأصقاع والأقطار تفرغ وتحمل صنوف المتوجات، وتتم فيها صفقات البيع والشراء بالجملة على نطاق واسع[1].

والمدن الإسلامية كمدن الأندلس كانت تنبض بحياة نشيطة في المجال الاقتصادي والاجتماعي وتحتوي على مرافق عديدة تسهل عليهم حياتهم كالمرافق الدينية مثل المساجد والكتاتيب، والمرافق الاقتصادية مثل الأسواق والحوانيت، والاجتماعية كالمساكن المريحة، وتمتاز المدينة بكثرة المنازل والطرقات والأزقة والدروب، واكتظاظها بالسكان داخلها أو خارجها[2] .

ومدينة المرية لم تكن استثناء فهي مدينة إستراتيجية ذات موقع هام على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تتوسط عدة مدن هامة في الأندلس كغرناطة ومرسية، وترتبط بها بشبكة طرق ومواصلات، ولها ساحل جميل يتميز بالهدوء والاتساع ومرفأ يستوعب عدد كبير من السفن التي ترسو به، وميناءها له أهمية كبرى في حركة التجارة الدولية و تصريف البضائع تقصده السفن من مدن أوروبا والمشرق والمغرب الإسلاميين، وقد بلغت المرية أوج ازدهارها وقمة اتساعها في فترة المرابطين، كما ضمت عناصر مختلفة عاشوا جميعا جنبا إلى جنب لما وفرته من سبل العيش وفرص العمل في مختلف المجالات، أي أن المرية كانت منطقة جذب سكاني مع وجود المرافق الضرورية سواء للقاطنين بها أو العابرين منها، من منازل جميلة بملحقاتها، والأسواق والقيساريات والفنادق والحوانيت والورشات، كما يتميز شكل المرية أو مخطط المدينة بتعدد أقسامها التي تشكلت عبر مراحل اتساعها فهناك القصبة

(1) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور- بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته- ط1- عالم الكتب- القاهرة- 1987- ص201.
(2) نفس المرجع- ص207.

على المرتفع الجبلي والمدينة الداخلية أو القديمة والربضين الشرقي والغربي، وكل قسم محاط بأسوار منيعة تتخللها الأبواب التي تسمى بالجهات التي تتجه نحوها أو بأسماء مهن تتركز فيها[1].

وغدت المرية في عصر علي بن يوسف بن تاشفين مدينة الإسلام [2] لما بلغته من شهرة في الصناعة والتجارة وكانت إليها تقصد مراكب البحر من الإسكندرية والشام كله، ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا ولا أتجر منهم في الصناعات وأصناف التجارات تصريفا وادخارا[3] .

ونشير إلى أن أسوار المدن الأندلسية عموما عرفت تغييرا في عهد المرابطين الذين ابتكروا نظاما جديدا في تخطيط الأسوار خاصة في عهد علي بن يوسف إذ عمدوا إلى الإكثار من الزوايا الداخلية والخارجية بالسور بحيث يأخذ شكل خطوط متعرجة متكسرة، وميزة هذا النظام أن الجند يتركون الأعداء يتقدمون داخل أحد الزوايا ثم ينقضون عليهم من أعلى الأسوار[4] .

وقد قام بإصلاح أسوار المرية أحد أبنائها، وقد أبدى سكان المدينة تعاونهم فقدموا إليه ما عليهم من ضرائب، فاستعان ببعض المتخصصين من أهل الأندلس في بناء الأسوار وإصلاحها وأكمل بناء الأسوار في المدينة[5] .

---

[1] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص ص124، 129.

[2] الإدريسي- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس(من كتاب نزهة المشتاق)- نشر: (دي غوية)/ دوزي ليدن- 1866- ص197.

[3] نفسه .

[4] د/ حمدي عبد المنعم محمد حسين- نفس المرجع- ص374.

[5] ابن عذارى المراكشي- البيانالمغرب في أخبار الأندلس والمغرب- ج4- تحقيق: إحسان عباس- بيروت- 1967- ص74.

4- السكان :

كانت المرية في فترة المرابطين منطقة عبور واستقرار ومدينة محورية ذات بعد اقتصادي وتجاري واجتماعي ، وعرفت نشاطا متزايدا حتى بلغت ذروة النمو والاتساع، كما سكنها عدد كبير من الناس من مختلف العناصر والفئات لوجود الظروف الملائمة للاستقرار من هدوء وطمأنينة، وفرص العمل والكسب مع وفرة الخيرات والمرافق المتنوعة .

وفي تلك الفترة صارت المرية بقصبتها ومدينتها القديمة وربضيها الشرقي والغربي عامرة بالناس وزاهرة في النشاط، كثيرة الخيرات، وأهلها مياسير ومكتفين لعملهم في الصناعة والزراعة والتجارة ولم يكن في بلاد الأندلس أحضر من أهلها نقدا ولا أوسع منهم أحوالا [(1)] .

وبلغ العمران ذروته أيام المرابطين حيث قدر عدد الدور بأكثر من أربعة آلاف دار وبالضبط 4604 يقطنها سبعة وعشرون ألف نسمة إذا أخذنا بالحسبان معدل ستة(6) أفراد في الدار الواحدة [(2)].

كما حاول العديد تقدير سكان المرية عن طريق تحديد متوسط إجمالي انطلاقا من المساحة الواقعة ضمن الأسوار، وكانت محاولة توريس بالباس الأكثر قبولا حيث جعل عدد سكان الهكتار الواحد 350 شخص في العهد المرابطي أواخر القرن 5هـ وبداية القرن 6هـ (5-6 هـ / 11-12 م) ويكون بذلك سكان المرية سبعة وعشرون ألف (27000) نسمة بحساب المساحة التي تقدر بـ 79 هكتار– في أوج عزها واتساعها ويرتفع السكان إذا اعتبرنا أنها مركز هام للمناطق التابعة لها[(3)] .

---

(1) الإدريسي– صفة المغرب وبلاد السودان– ص198.

(2) د/ السيد عبد العزيز سالم– تاريخ مدينة المرية الإسلامية– ص114.

(3) بيار غيشار– نفس المرجع– ص985.

أما خصائص سكان المرية فهي عديدة حيث يقول المقري : " المرية فإنها البلد المشهور الذكر، العظيم القدر، الذي خص أهله باعتدال المزاج، ورونق الديباج، ورقة البشرة وحسن الوجوه والأخلاق، وكرم المعاشرة والصحبة " [1]، ولقد أبدع المقري في إعطاء صورة دقيقة عن سكان المرية، حيث أظهر الجمال الخارجي والباطني لهم، ونستشف من هذا التصوير أن أهل المرية يمتازون بالجمال والحسن مع الاهتمام باللباس والتأنق إضافة إلى الأخلاق السمحة .

وسكان المرية جزء من شعب الأندلس الذي امتاز بالتدين والبعد عن التعصب وكثرة النظافة والبعد عن الإسراف والتبذير مع كرم النفس والجود وحب اللهو، وكان عالم الدين كثير الإجلال والتقدير، وكانت قراءة القرآن ورواية الحديث رفيعة، وللفقيه رونق ووجاهة، وكان المذهب المالكي هو السائد لذهاب العلماء إلى المدينة المنورة وأخذهم الكثير من مذهب الإمام مالك .

وإن كان أهل المرية شديدي التعصب لمدينتهم، فإنهم ابتعدوا عن التعصب الديني، وتجلى ذلك في تسامحهم مع أهل الذمة يسمحون لهم بممارسة الشعائر، ونؤكد مرة أخرى أن السكان اهتموا بنظافة البدن واللباس والفراش، وامتازوا بالاحتياط والتدبير في المعاش وحفظ ما لديهم، ونادرا ما تجد فيهم سائلا ولهم دعابة وحلاوة في كلامهم ومحاورتهم[2]، ولم يكن في أهل الأندلس أكثر مالا من أهلها ولا أكثر متاجر ولا أعظم ذخائر[3] .

ومن المؤكد أن موقع المرية الاستراتيجي على ساحل البحر الأبيض المتوسط ووضعها الاقتصادي كمفترق طرق حضاري ساهم في تكوين شخصية أهلها نظرا لاحتكاكهم المستمر

---

(1) المقري- نفح الطيب- ج3- ص19.

(2) د/ مريم قاسم طويل- نفس المرجع- ص ص66، 78.

(3) سراج الدين ابن الوردي- المصدر السابق- ص32.

واختلاطهم المتواصل مع أجناس عديدة من عدة أقطار، سواء من المشرق أو المغرب الإسلاميين أو من الأمم النصرانية أو من داخل الأندلس، وفي وجود المرافق التي تسمح بإقامة الغرباء عن المدينة وهذا الأمر أكسبهم خبرة وتجربة في التعامل والمحاورة ومزيد من الثقافات .

الفصل الرابع:

الصناعة والزراعة والتجارة في المرية

1 - المقومات الاقتصادية

2- الصناعة

3- الزراعة

4- التجارة

شهدت المرية في عهد المرابطين أوج ازدهارها وقمة نموها في شتى الميادين من اتساع في العمران واكتظاظ في السكان وكثافة في النشاط وتفاعل سكانها مع بيئتهم إذ كانت المرية ملتقى للطرق ومنفذ للبحار ومركز لتوريد وتصدير السلع والبضائع، ولعبت دورا أساسيا في اقتصاد الأندلس من حيث كونها مقرا لتعامل تجاري كثيف بين مختلف الأجناس والمناطق. وكل هذا أدى إلى ازدهار اقتصادي واجتماعي كبيرين زاده اهتمام المرابطين بها والعناية التي كانوا يولونها لها.

وقد توفرت المرية على المقومات الاقتصادية التي جعلت منها مدينة رائدة في الاقتصاد الأندلسي المرابطي من وفرة في المواد الأولية المختلفة، واليد العاملة المؤهلة والمرافق الاقتصادية والاجتماعية التي تسمح بممارسة اقتصادية مريحة وناجحة عادت بالفائدة الكبيرة على المدينة وسكانها وتعددت المواد الأولية في المرية بين مواد معدنية وحجرية ونباتية وحيوانية بشكل حقق الاكتفاء الذاتي للمدينة وللإقليم ككل.

وقد ذكرنا أنفا اهتمام المرابطين بالمرية نظرا لمكانتها وإمكانياتها حتى صارت عامرة زاهرة كثيرة الخيرات[1]. وأحد أهم مراكز الاقتصاد الرئيسية في شبه الجزيرة [2]. الذي يعرف إقبالا كبيرا من طرف التجار سواء من داخل الأندلس أو من خارجها، وكان مينائها يعج بالحركة والتبادل التجاري تصديرا واستيرادا تقدم إليه السفن من مصر والشام [3]. ومن موانئ شمال إفريقيا كتنس ووهران والجزائر وبجاية وتونس سبتة[4].

---

[1] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص114.

[2] بيار غيشار- نفس المرجع- ص136.

[3] د/ محمود السيد- نفس المرجع- ص110.

[4] د/ حمدي عبد المنعم محمد حسين- نفس المرجع- ص350.

وسنتكلم إنشاء الله تعالى عن الاقتصاد في المرية من صناعة ومصنوعات وعن الزراعة ومؤهلاتها وعن التجارة وحركاتها.

1- المقومات الاقتصادية:

كانت للمرية عدة مقومات اقتصادية جعلت منها قطبا اقتصاديا رائدا، ونعني بالمقومات مختلف العناصر التي تدخل في الحياة الاقتصادية من موارد أولية وثروات باطنية، والمرافق الاقتصادية والاجتماعية، واليد العاملة، والمناخ والأرض، وسياسة الدولة (المرابطون) في دعم وتشجيع الاقتصاد.

أ- الموارد الأولية:

لقد حبى الله تعالى المرية بعديد من المواد والخيرات التي شكلت منطلقا لنهضة اقتصادية كبيرة عرفت أوجها في عهد المرابطين حيث تنوعت بين مواد نباتية ومعدنية وأخرى حجرية.

أما بالنسبة للمعادن نجد معدن الرصاص الذي يتوفر بناحية برجة من أعمال المرية[1] ومعدن الفضة الذي يوجد بجبال حمة بجانة [2]، ويوجد أيضا بالمرية معدن الحديد [3] ومعدن النحاس[4]. وهاته المعادن كلها أساسية تدخل في مختلف الصناعات كصناعة الآلات والأدوات في السفن والورشات والبيوت وأدوات الفلاحة وما إلى ذلك. أنظر الخريطة 8 .

وأما المواد الحجرية يتواجد الرخام الصقيل الذي شكل ركنا أساسيا في الصناعة بالمرية، وتقع مقاطعهـ ومقالعهـ في جبال سيرادي لوس فيلا بريس **sierra de los filabres** الواقعة شمال المرية،

(1) المقري- نفح الطيب- ج1- ص151.
(2) محمود شيت خطاب- قادة فتح الأندلس- مجلد1- ط1- منار للطباعة والنشر- دمشق- 2003- ص108.
(3) د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص167.
(4) د/ محمد أحمد أبو الفضل- تاريخ مدينة المرية الأندلسية- ص218.

ومن هذه المقاطع يقطع الرخام وينحت ويعد لمختلف الأغراض[1]. وفي ناحية بجانة توفر الياقوت الأحمر بأشكال مختلفة كأنه مصبوغ بقرية يقال لها ناشرة والمرجان يستخرج من ساحل البيرة من أعمال المرية جهة مرسية[2]. إضافة إلى وجود نوع من الحصى يشبه الدر في رونقه، له ألوان عجيبة يحمل منه إلى سائر البلدان ومن العادات يضعه الناس في كيزان الماء[3]. كما يوجد بالمرية حجر اللازورد[4].

وفيما يخص المواد النباتية نجد الأخشاب التي تستعمل في صناعة السفن والأدوات الخشبية [5] وأشجار التوت اللازمة لتربية دودة الحرير في الأراضي الواقعة على وادي بجانة (وادي المرية) مثل حصن شنش وأشجار الألنجوج [6] التي يستخرج منها أعواد عطرة لا يفوقها العود الهندي ذكاء وعطر وريحة وهي في ناحية دلاية من إقليم المرية جهة البشرة[7].

[1] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص164.
[2] محمود شيت الخطاب- نفس المرجع- ص107/ المقري- نفس المصدر- ج1- ص142.
[3] المقري- نفسه- ج1- ص201.
[4] مجهول- جغرافيا وتاريخ الأندلس- ص65.
[5] محمد أحمد أبو الفضل- نفس المرجع- ص218.
[6] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص16.
[7] المقري- نفسه- ج1- ص141.

ب- المناخ والطبيعة:

على الرغم من جفاف المرية وأرضها القاحلة وموقعها على مرتفع جبلي وقلة خيراتها، فقد كان خارج المدينة من أعمالها مواضع كثيرة اختصت بميزات طبيعية ومناخية أتاحت لها إمكانية القيام بالأنشطة الزراعية وخدمة الأرض وممارسة تربية المواشي، ومنها وادي المرية (ويقال له أيضا وادي بجانة) الغني بمزروعاته وغروسه، وإلى جانب ذلك نجد برجة ودلاية، وحصن شنش، أندرش الذي يغرس فيه نبات الكتان، وشلوبين التي اشتهرت بزراعة قصب السكر والموز والقسطل[1].

ج- اليد العاملة :

لقد برع سكان المرية في شتى مجالات الاقتصاد في الصناعة والزراعة والتجارة وركوب البحر، وأجادوا الكثير من الحرف حتى صاروا مضرب الأمثال في البراعة والتفوق، ومنتوجاتهم نافست بضائع المدن والمناطق الأخرى وكمثال على البراعة والإجادة في الصناعات النسيجية لدى أهل المرية يقول المقري: " واشتهرت المرية بالموشي المذهب الذي يبهر الناظرين حتى أن أهل المشرق يتعجبون من حسن صنعه إذا رأوا منه شيئا "[2]. كما يتحدث ياقوت الحموي عن براعة أهلها وإتقانهم في صنع الحرير:

" ويصنع بها المشي والديباج فيجاد عمله، ولم يتقف في أهل الأندلس من يجيد عمل الديباج إجادة أهل المرية "[3].

د- المرافق العامة :

[1] د/ محمد أحمد أبو الفضل- نفس المرجع- ص204.

[2] المقري- نفسه- ج1- ص201.

[3] ياقوت الحموي- معجم البلدان- مجلد5 – دار صادر- بيروت- 1977- ص119.

لا تتأت أي نهضة اقتصادية بدون المرافق اللازمة والتي تؤدي دورها في ضمان الأمن والراحة ومزاولة النشاطات وتخزين البضائع وتصريفها وتتمثل هذه المرافق في الأسواق والفنادق والحمامات والحوانيت.

وقد بلغت هذه المرافق رقما لا بأس به في فترة المرابطين، وغدت المرية في قمة الازدهار باتساع عمرانها ووصول الكثافة السكانية إلى نسبة مرتفعة وكان بالربض الغربي أي ربض الحوض فنادق وحمامات[1] ناهز عددها ألف مغلق إلا ثلاثين [2] ما يدل على سعة عمران المرية ووفرة المتاجر وكثرة النزلاء من تجار الأندلس ومن خارجها، وتستخدم الفنادق لوظيفتين أساسيتين أولاهما لإيواء الوافدين على المدينة من التجار من مختلف المناطق والأقطار، والوظيفة الأخرى لتخزين السلع والبضائع ثم توزيعها بعد ذلك بالجملة[3].

وقد كان لكل نوع من أنواع التجارة أو الحرف قيسارية- مجموعة أبنية ذات دروب وأزقة لكل نوع من أنواع النشاط الاقتصادي- أو زقاقا أو سوقا خاصا به، فقيسارية للمنسوجات الحريرية والكتانية والقطنية، وقيسارية تعرض فيها الحلي الذهبية والفضية وأنواع الأحجار الكريمة، وقيسارية الأحذية والنعال. وحوانيت للملابس المخيطة والخياطين، وحوانيت لبيع الكتان والصوف، وبالسوق مكان لبيع الخضر والفواكه بأنواعها التي ترد المرية من القرى التابعة لها، وحوانيت لبيع اللحوم

---

[1] المقري- نفح الطيب- ج1- ص63.

[2] سراج الدين بن الوردي- عجائب البلدان- ص32.

[3] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص63.

(بقر، غنم، ماعز)، ومكان لبيع الطيور والأرانب، وحوانيت للأطعمة المطهوة، وسوق للحبوب، وآخر للماشية، وسوق للدواب[1].

- سياسة المرابطين الاقتصادية:

لقد عرفنا فيما سبق كيف دخل المرابطون إلى الأندلس والمرية والظروف التي جاءت بهم، هؤلاء اتبعوا سياسة في تسيير شؤون البلاد، حيث واصلوا دعم المراكز الاقتصادية الهامة وتشجيع مختلف الأنشطة التي تضمها مثل مدينة الحرية التي سبقت المرابطين وازدادت شهرتها في فترة حكمهم.

وقد عرف عن المرابطين وأمرائهم الأمانة والاستقامة والعدل والرفق بالرعية وهذا ليس بغريب عن دولة أساسها الدين وخدمة الإسلام، وكان لانتصار الزلاقة أثر كبير في النهضة الإقتصادية في الأندلس عموما، فلم يعد النصارى يستطيعون مواصلة سياسة العدوان القديمة التي مارسوها والتي أشاعت جوا من القلق والاضطراب في البلاد، فاطمأن الناس وبدأوا يتوجهون إلى العمل والإنتاج الذي نما وتضاعف[2].

ثم اتبع المرابطون سياسة حكيمة في تشجيع الاقتصاد من صناعة وزراعة وتجارة والاهتمام به بدءا بتوفير الأمن للمدن أو للطرق التجارية عن طريق تقوية الجيش وتدعيم قدرات الأسطول الذي كان معظمه في المرية وبناء القلاع والحصون، كما حاربت الدولة قطاع الطرق، وانتهجت سياسة معتدلة في فرض الضرائب على المزارعين والصناع والتجار، وألغت الضرائب التي تفوق قدرات الناس، وراقبت جامعي الضرائب حتى لا ينفردوا بأموال الناس[3].

---

(1) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص200.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص196.

(3) د/ محمود السيد- نفس المرجع- ص ص110-111.

وقد انتهج المرابطون في مجال الزراعة وخدمة الأرض نظام إقطاع الأرض أو التقطيع للأشخاص من أجل خدمتها وإصلاحها، الأمر الذي شجع على إحياء الأرض الموات فيصيرون ملاكها ويدفعون للدولة حق ما تخرجه الأرض ويتحملون جميع الأعباء، وعلى الشخص استثمار الأرض وإلا نزعت منه وأعطيت لآخر[1].

وكسياسة أخرى للمرابطين لتنظيم التجارة كان المحتسب (المعين من قبل قاضي المدينة) موظف أساسي لتسيير أمور التجارة، إذ يقوم بمراقبة الأسواق وأماكن البيع للحفاظ أولا على صحة السكان ومنع الغش والتدليس في البيع والسلع، وشروط تخزينها وعرضها. ويتواصل المحتسب مع عريف المهنة أو الحرفة لمناقشة أوضاع السوق والمشاكل المختلفة التي تعترض الحرفيين أو التجار، رعاية للمصلحة العامة فلا يكون فيها غبن للتاجر والحرفي أو إرهاق للناس[2].

والمرية في فترة المرابطين نالت حقها من الاهتمام والرعاية، فصارت أحد مراكز الاقتصاد الرئيسية في شبه الجزيرة، واهتموا بها بصفة خاصة وبالنواحي الاقتصادية فيها [3]، وأصبح ميناءها الأول الذي يقصده التجار والسفن من سائر الأقطار فانعكس هذا الرخاء على المدينة[4].

[1] د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص159.
[2] عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص205.
[3] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص89.
[4] د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص197.

2- الصناعة:

إن الصناعة عنصر من عناصر النهضة الاقتصادية، وأحد أركانها الأساسية وهي مصدر من مصادر الشراء والدخل يعود بالنفع على ممارسها وعلى الدولة إضافة إلى الزراعة والتجارة.

وبلغت الصناعة في المرية على عهد المرابطين أوجها، حيث قامت صناعات على الإنتاج الزراعي والحيواني، واستغلت المعادن بكثرة في حركة التصنيع [1] وتميزت المدينة بصناعات عديدة نظرا لتوفر المواد الأولية كما ذكرنا سابقا وبراعة أهلها وتخصصهم سواء في الصناعات الحربية أو المدنية المتنوعة[2]، وبها من الصناعات كل غريبة، وكان لها من طرز الحرير ثمانمائة طراز وتعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون...[3].

واشتهرت المرية بصناعات النسيج والحرير بشكل كبير وأساسي، وارتفعت المدينة إلى مرتبة عالية بين مدن الأندلس، وكذلك برزت صناعة الرخام والأحواض المائية والصناعات التحويلية والصناعة الزجاجية والتحف، وصناعة الجلود والأثاث، والمعادن والحلي واللآلئ والفضة، وصناعة العملة، والصناعة البحرية من سفن وملحقاتها، ومن ذلك نلحظ أن المدينة غطت مجالات عديدة في المنتجات المختلفة كما وجودة وبرع أهلها في تخريجها وتصويرها. ما جعل هذه المصنوعات مضرب الأمثال، وتلقى إقبالا داخليا وخارجيا. أنظر الخريطة 8 .

(1) د/ عصمت عبد الطيب دندش- نفس المرجع- ص177.

(2) د/ عبد الرحمن علي الحجي- نفس المرجع- ص450.

(3) الحميري- الروض المعطار في خبر الأقطار(معجم جغرافي مع فهارس شاملة)- تحقيق إحسان عباس- مكتبة لبنان- بيروت- ط1(1975)/ ط2(1984)- ص538 .

أ- الصناعات النسيجية:

تضمنت الصناعة النسيجية منتوجات الحرير والكتان والقطن. غير أن أهمها وأشهرها على الإطلاق المنسوجات الحريرية حيث احتلت المرية الصدارة بين مدن الأندلس في عصر المرابطين. وكان يعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والأصبهاني والجرجاني والستور المكللة والثياب المعينة والعنابي والمعاجر وصنوف أنواع الحرير[1].

ولاقت هذه السلع رواجا منقطع النظير محليا وعالميا، ووصلت إلى الآفاق في مختلف الأقطار، ولم تقتصر دور الطرز والنسيج على إنتاج البضائع المحلية بل تعدت إلى إنتاج أنواع مشرقية وحتى نوع أوروبي أصله من اليونان والمتمثل في السقلاطون (لباس مطرز بالذهب في غاية الإتقان)، ونجد أنواع من النسج الحريرية كالنوع الذي يسمى بالحلل وهو نسيج حريري اشتهرت به المرية وبرع أهلها في إجادته إذ يحلى(يزين) بخيوط ذهبية حتى صار يدعى بالحلل الموشية وهو في غاية الروعة والأناقة، وكذلك يوجد الديباج وهو لباس حريري سميك، أما الأنواع ذات الأصول المشرقية فمنها الجرجاني نسبة إلى جرجان، والأصبهاني نسبة إلى أصبهان وهما مدينتان من بلاد فارس.

وأتقن سكان المرية صناعة الستور المكللة وهي أقمشة رقيقة وخفيفة من الحرير تزين بزخارف نباتية وأزهار تشبه الأكاليل والثياب المعينة، التي تنسج من الكتان والقطن إضافة إلى الحرير وتزخرف بترابيع على شكل معينات، والخمر أغطية حريرية للرأس تنسدل على الوجه تستعملها النساء في المرية وسائر مدن الأندلس، ونجد نوع آخر هو العتابي يصنع من الحرير وينسب إلى محلة

[1] الحميري- الروض المعطار- ط1، ط2- ص538.

العتابية ببغداد، إذ يقوم الحائك بمزج الحرير والقطن بألوان مختلفة، ويوجد بالمرية منتوج حريري آخر يدعى بالمعاجر تغطي النساء بها وجوههن أو لشد رؤوسهن[1].

وأشهر هذه الأنسجة على العموم الموشي والديباج الذي يجاد عمله ولم يتقف في أهل الأندلس من يجيد عمله كإجادة أهل المرية [2]. واشتهرت أيضا منطقة أندرش من أعمال المرية بإنتاج الحرير والكتان الفاخر [3].

وكان بالمرية عدد لا بأس به من الأنوال(المصانع) لمختلف المصنوعات الحريرية والنسيجية قدر بأعداد هائلة ما يدل على وفرة الإنتاج وبراعة أهلها، وتنوع المنتوجات بين المحلي والأجنبي [4]، وقد بولغ كثيرا في عدد الأنوال إذ قدرت بالآلاف سواء للطرز الحريرية، والديباج والسلاقطون والجرجانية والأصبهاني[5]. أنظر الخريطة 8 .

ب- صناعة الملابس:

وظهرت في المرية صناعة الألبسة الجاهزة التي نالت نصيبها من اهتمام المريين الذين كانوا يتعيشون منها، وتصنع في المدينة وتباع خصوصا لأهل الريف الذين يقصدون المدينة لاقتناء ما يلزمهم من الحاجيات، ويتجمع الخياطون في قيسارية خاصة بهم لصناعة الملابس[6].

---

[1] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص158.
[2] ياقوت الحموي- معجم البلدان- ص119.
[3] د/عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص183.
[4] نفسه- ص184.
[5] سراج الدين بن الوردي- عجائب البلدان- ص31.
[6] د/عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص186.

ج- الصناعة الحجرية: الرخام والأحواض:

تقدمت الصناعة الحجرية في المرية في فترة المرابطين تقدما لا نظير له في ظل وجود وفير للرخام الذي يدخل في هذه الصناعة والذي يؤتي به من جبال المرية والمقاطع التي بها، وصار عاملا لتقدم صناعة الأحواض والتوابيت، وشواهد القبور والألواح المختلفة، وتزيين جدران المباني. وهذا النوع من الشواهد وصل المرية في فترة المرابطين من المشرق الإسلامي، ومنها انتشر إلى سائر مدن الأندلس حتى سميت بشواهد المرية las Estalas Almerienses وتمتاز صناعة التوابيت في المرية بأنها مصنوعة منى الرخام الأبيض إضافة إلى الشواهد التي تزين بأشكال ونقوش غاية في الجمال والأبهة. في وسطها كتابة للنعي كاسم المتوفى وتاريخ وفاته مكتوبة بخط كوفي أنيق، وتعبر وفرة هذه الشواهد في عصر المرابطين عن الازدهار الاقتصادي الذي بلغته المرية وعن رخاء وثراء أهلها[1].

كما اشتهرت المرية بصناعة الأحواض الرخامية المنمقة والفوارات لوقت طويل بوجود الرخام واحترافية الصناع، ووجدت هذه الأحواض في الدور ومنازل الأثرياء بأشكال مختلفة عبرت عن اهتمام ورقي كبيرين[2]. أنظر الخريطة 8 .

[1] د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص186.

[2] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص ص164،165.

د- الصناعة التحويلية:

لقد استغل سكان المرية الخيرات الموجودة في بلادهم كمواد أولية في الصناعة التحويلية منها قصب السكر لإنتاج السكر، واستخراج الزيوت من الزيتون [1]، واستعملوا ألياف نبات القنب لصناعة الحبال بمختلف أحجامها للاستخدامات اليومية، ولاسيما الحبال المستعملة في السفن [2]، وتم تحويل نبات الكتان إلى ألياف لاستخدامه في الأنسجة، وفي صناعة الأشرعة البحرية وأي نسيج آخر على ظهر المراكب[3].

هـ- الصناعات المعدنية:

برع أهل المرية في استخراج المعادن المختلفة وتنقيتها من الشوائب وإعدادها للاستعمال الصناعي، كما تفننوا في هذه الصناعة وأنتجوا صنوف من الآلات والأدوات في شتى الاستخدامات للبيت والفلاحة وللورشات وللسفن تتجلى فيها دقة الصنعة وجمال الزخرفة[4]، وتم استخدام معدن الحديد والنحاس والفضة والرصاص على نطاق واسع، وصنع من معدن القصدير القنوات الخاصة لنقل المياه [5]. وما يمكن قوله أن الصناعات المعدنية احتلت المرتبة الثانية على الأقل بعد النسيج في المرية من حيث كمية الإنتاج والجودة والإتقان ولاسيما أن أي مادة أو أداة لا غنى عنها في مختلف النشاطات، وبها صنوف آلات الحديد والنحاس مما لا يوصف وما لا يحد[6].

و- صناعة الزجاج والفخار والتحف:

---

[1] د/ السيد عبد العزيز سالم- نفس المرجع- ص158.

[2] إكسيبراسيون سانشيز- الزراعة في إسبانيا المسلمة- ترجمة: أكرم ذا النون- مركز الدراسات للوحدة العربية- ط1- ج2- 1998- ص1377.

[3] لوسي بولنز- نباتات الصباغة والنسيج- ترجمة: مصطفى الرقي- مركز الدراسات للوحدة العربية- ط1-ج2- بيروت- 1998- ص1400.

[4] د/ مريم قاسم طويل- نفس المرجع- ص98.

[5] د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص181.

[6] سراج الدين ابن الوردي- عجائب البلدان- ص31.

لقد كان لأهل المرية باع طويل في إنتاج الأدوات الزجاجية والفخارية والتحف في أبهى صورة، وأحلى شكل، وبدقة متناهية. فصنعوا زجاج النوافذ والأبواب والثريات والقدور الفخارية والصحون وما إلى ذلك، وبرعوا في إنتاج الخزف المزجج والمذهب [1] واشتهر في المرية إنتاج صنوف من التحف الزجاجية[2] لوضعها في البيوت والقصور أو للإهداء وللزينة، وكذلك بالنسبة للفخار الذي يصنع منه فخار مزجج ومذهب[3].

وعند استخدام الزجاج الملون مثلا يقوم الصانع بتلوينه بواسطة طرق علمية بإضافة أكاسيد مختلفة لإعطاء اللون المطلوب إلى الزجاج الذائب، فأكسيد النحاس يعطي اللون الأخضر الفيروزي، وأكسيد الكوبلت يعطي اللون الأزرق الفاتح، وأكسيد المنغنيز يعطي اللونين الأرجواني والبنفسجي، وأكسيد القصدير يعطي اللون الأبيض، وأكسيد الحديد يعطي اللون الأحمر، وحجر اللازورد يعطي الأزرق، والأنيمون(الإثمد حجر يكتحل به) يعطي اللون الأصفر[4].

ي- صناعة الأثاث:

أنتج سكان المرية الخزانات والطاولات والصناديق مختلفة الأحجام والنوافذ والأبواب وأثاث الزينة والتحف وما إلى ذلك، حيث كان في كل مدينة صناعة تتصل بالأثاث والأدوات المنزلية[5].

ن- صناعة الجلود:

---

(1) د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص167.
(2) د/ حمدي عبد المنعم محمد حسين- نفس المرجع- ص305.
(3) المقري- نفسه- ج1- ص202.
(4) د/ مريم قاسم طويل- نفس المرجع- ص99.
(5) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص186.

انتشرت في المرية صناعة الجلود ودباغتها على ضفاف الوديان، وأنتج من الجلد عدة أشياء كالسروج والأحذية والصنادل والنعال [1] بأشكال جميلة ومميزة .

ل- الصناعة البحرية:

ونقصد بالصناعة البحرية السفن وما يتعلق بها من عدة وآلات فقد اشتهرت المرية بإنتاج السفن ودار صناعتها من جهة البحر التي كانت رائدة في الإنتاج البحري، وخاصة إذا علمنا بأن المرية تعتبر القاعدة الأولى في الأندلس في أيام المرابطين، ومعظم الأسطول الأندلسي المرابطي يرسو فيها. وتم إنتاج وصناعة السفن بجميع أنواعها سواء الحربية أو سفن الصيد. نظرا لبراعة الصانعين والحرفين، وتوفر المواد الخام التي تدخل في صناعتها كالحديد والرصاص والأخشاب والأشرعة والحبال [2]، ولاسيما أشجار الصنوبر اللازمة لصناعة الصواري المشهور بجودته وعدم تعرضه للتلف الناشئ من التسوس، وهو نوع لانظير له في الطول والغلظ وكانت تجلب من جبال طرطوشة[3] أو من شلطيش[4] ودار صناعتها قسمت إلى قسمين: القسم الواحد فيه المراكب والآلة والعدة والثاني فيه القيسارية[5].

ك- صك العملة :

---

[1] د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص186.

[2] د/ حمدي عبد المنعم محمد حسين- نفس المرجع- ص305 / د/ محمد أحمد أبو الفضل- نفس المرجع- ص218.

[3] الحميري- الروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق: ليفي بروفنسال- مطبعة لجنة التأليف والترجمة- القاهرة- 1937- ص124.

[4] نفسه- ص111.

[5] مجهول- جغرافية وتاريخ الأندلس- ص181.

اكتسبت العملة المرابطية قيمة مرتفعة بسبب رواج التجارة في المرية وسائر مدن الأندلس، ومدن المغرب الإسلامي وبلاد السودان، وصارت متداولة في نطاق واسع حتى وصلت القسطنطينية [1].ثم أصبحت عملة دولية بل الدولية الأولى ذلك الوقت نظير التداول والمعاملات التجارية، والعملة الرئيسية لدى المرابطين هي الدينار الذهبي الذي كان عماد الاقتصاد. كما استخدموا العملة الفضية المعروفة بالدرهم الفضي، وعملة أخرى تسمى نصف الدرهم، ولأهمية المرية عند المرابطين أسسوا بها دار لصك العملة وضرب النقود[2]. واختاروا لها الشخص المعروف بالأمانة والدراية بالنقود وأصناف المعادن وطرق الصك ووضع النقوش والكتابات الموجودة على جانبي العملة، وفي دار العملة كذلك عمال ذوي خبرة ومهارة وتجربة لخطورة العمل ودقته[3].

م- صناعة الحلي :

تطورت صناعة الحلي والمعادن في المرية في عهد المرابطين تطورا كبيرا لوجود المواد الخام المختلفة كالذهب والفضة والنحاس، ولاسيما الفضة الموجودة بوفرة في جبال حمة بجانة، وكان أهل المرية على علم وخبرة بطرق استخراج المعادن، واستخلاص الشوائب منها، وإعدادها للاستعمال فصنعوا من الذهب والفضة أنواع الحلي الجميلة، وأنواع النقود المختلفة وأدخلوها في صناعات أخرى [4]. وكذلك صنع سكان المرية الحلي من الياقوت والمرجان اللذان يستخرجان من قرية ناشرة جهة بجانة ومن ساحل البيرة[5].

3- الزراعــة :

---

(1) د/ حسن علي حسن- نفس المرجع- ص227.
(2) حمدي عبد المنعم محمد حسين- نفس المرجع- ص320.
(3) د/عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص237.
(4) د/عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص181.
(5) محمود شيت خطاب- نفس المرجع- ص107.

كانت الزراعة في المرية عنصرا من عناصر نهضتها الاقتصادية في فترة المرابطين الذين أعطوها عناية واهتمام كبيرين إضافة إلى رعية سكانها في خدمة الأرض، والقيام بها يحسن الإنتاج والمردود الزراعي من توفير أدوات الفلاحة التي تكفلت الصناعة بإنتاجها، واختيار البذور المناسبة وتطوير وسائل الري وتقنيات السقي، وبذلك كثرت المحاصيل وتوفرت الصنوف المختلفة من الخضر والفواكه حيث حققت الزراعة اكتفاءا لسكان المرية وساهمت في الصناعات التحويلية، وتكفل التجار بتصدير الفائض من الإنتاج عبر مينائها النشيط بالحركة التجارية البحرية.

وساعد على النهوض بالزراعة توفر الأمن والاستقرار والطمأنينة لدى الناس بعد انتهاء الحروب والفتن السابقة مما شجع الناس على استثمار الأراضي [1] والخبرة المتراكمة لديهم في الفلاحة والأرض واستنباط الأنواع الجديدة المختلفة[2] حتى بلغت الزراعة أوج ازدهار إبان تلك الحقبة.

ورغم أرض المرية الجبلية والموقع على مرتفعات كما أسلفنا الذكر الذي لم يؤهلها إلى بروز زراعي فيها(أي مدينة المرية) إلا أن الأعمال التابعة لها(أي المدن والقرى) كانت توفر الخيرات الكثيرة وتغطى الحاجيات وزيادة كطبرنش، ودلاية برجة وشلوبين، ووادي بجانة الغني [3]. وتحقق الاكتفاء لأهل المرية. ويقول الحميري: "...وكان لها من فواكه واديها الكثير الرخيص"[4].

أ- أهم المزروعات:

[1] حسن علي حسن- نفس المرجع- ص236.
[2] د/عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص164.
[3] د/السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص133.
[4] الحميري- الروض المعطار- ط1،ط2- ص538.

تعددت المزروعات في المرية وتنوعت المحاصيل من خضر وفواكه، وحبوب وبقول والأشجار المثمرة بأنواعها، والأشجار ذات الغلات الصناعية. أنظر الخريطة 8 .

*** الأشجار :**

غرس بالمرية صنوف الأشجار بدءا بأشجار التوت اللازمة لتربية دودة الحرير أو القز لاستخراج خيوطها المستعملة في المنسوجات الحريرية على ضفتي وادي بجانة، وفي حصن شنش، وأشجار الألنجوج في دلاية وأشجار الزيتون بطبرنش[1]. وقصب السكر في شلوبين[2].

*** الفواكه :**

اهتم سكان المرية بغرس أشجار الفواكه والجنان على وادي بجانة والأعناب النظرة في برجة. والموز والقسطل أيضا بقرية شلوبين[3]. وأشجار التين والرمان لاسيما على السواحل [4]. وتمتاز فاكهتها بالعجيبة مما يعجز عنه الواصف حسنا وطيبا وكثرة وتباع بأرخص ثمن[5].

*** الحبوب والبقول :**

كذلك قام أهل المرية بزرع الحبوب وغرس البقول كالقمح والشعير، الفول والحمص، اللوبيا والجلبان والعدس[6].

*** الخضر:**

(1) السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص16.
(2) نفسه- ص133.
(3) نفسه.
(4) اكسبيراثيون سانشيز- نفسه- ص1377.
(5) سراج الدين ابن الوردي- نفسه- ص31.
(6)(إكسبيواثيون)- نفس المرجع- ص1377.

كانت الخضر موجودة بشكل وفير شتاء وصيفا، فخضر الشتاء نجد اللفت والجزر، والكرنب والكراث، السلق والسبانخ والخرشوف. أما في الصيف فينتج القرع والباذنجان، الفاصولياء الخضراء، البطيخ بنوعيه الأصفر والأحمر، الخيار والبصل والثوم(1).

*** الغلات الصناعية :**

وتضم الغلال التي تدخل في صناعة المنسوجات العديدة، والغلال الزيتية والسكرية كما ذكرنا سابقا والغلال الصبغية والقنب لصناعة الحبال وحياكة البسط(2).

*** القطن:**

أصل القطن من الهند ثم دخل إيران والعراق ثم نقله المسلمون إلى الشام ومصر ثم إلى إسبانيا(الأندلس)، وكان يغرس بالمرية ليستعمل فيما بعد في النسيج(3).

*** الكتان والقنب:**

لقد ذكرنا استعمالات القنب فيما سبق. إضافة إلى نبات الكتان الذي يغرس في المرية ويستخدم في المنسوجات، ويتم استخراج خيوط الكتان بنقع جذوعه في الماء، وقد غرس في سهول وادي أندرش حيث كانت تقوم هناك صناعة الأشرعة البحرية من الكتان الملون، ونضيف إلى استعمال القنب استعمالات أخرى كالأقمشة والثياب الغليظة والحبال المفتولة على ظهر المراكب(4).

ب- تربية المواشي:

(1) اكسبيرابثون سانشيز - نفسه- ص1377.
(2) نفسه.
(3) جاك ريسلر - الحضارة العربية- تعريب: د/خليل أحمد خليل- ط1- منشورات عويدات- بيروت- 1993- ص121.
(4) لوسي بولنز - نفس المرجع- ص1400.

ولم يهمل أهل المرية مهنة تربية المواشي كنشاط فلاحي تكميلي للأنشطة الزراعية وخدمة الأرض، حيث قاموا بتربية الماشية في الأماكن الريفية والجبلية لوفرة الكلأ والمراعي الخصبة. خاصة في منطقة دلاية من إقليم المرية أين انتشرت تربية القطعان من بقر وغنم وماعز ويذكر عنها أنها كانت أرضا كثيرة الأجبان والخرفان[1].

ج- صيد الأسماك:

يمكننا إضافة مهنة صيد السمك إلى النشاطات الفلاحية الأخرى فهي بدورها كانت عاملا للثراء والرخاء في المدينة ولأهلها، فقد امتهن العديد صيد الأسماك المختلفة ولاسيما أن موقع المرية على ساحل البحر الأبيض المتوسط ولها خليج واسع وهادئ يسع عدد كبير من السفن الملاحية مع وفرة أدوات ووسائل الصيد، كما برع الناس ومهروا في معالجة الأسماك وتمليحها وتجفيفها[2]. كما أن الأسماك كانت حاضرة على موائد أمل المرية كغذاء أساسي.

د- طرق الري والسقي:

[1] د/ مريم قاسم طويل- نفس المرجع- ص91.

[2] د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص180.

إن كثرة المزروعات والمحاصيل في المرية، واتساع مساحات الغرس وحقول الفواكه والجنان يدل على الإمكانيات التي أتيحت للمزارعين ووفرة مياه السقي التي تأتي من الأنهار والوديان القريبة، ومن هذه الإمكانات وسائل الري وطرق تصريف المياه التي لا غنى عنها في تطوير الزراعة وسقي المحاصيل. حيث كان هناك نظام ممتاز للري والمنشآت المائية[1].

وكان الأندلسيون مهرة في تصريف وتوزيع مياه الأنهار والوديان على الأراضي المزروعة بواسطة عدة أنظمة وتقنيات كنظام الأسداد **Asdàd**، ونظام السواقي **Acequias**، ونظام الناعورات **nàuràt**، كما قام المزارعون بتطوير نظم السقي داخل البساتين والأراضي حتى يحصل كل غرس على كمية المياه اللازمة وفي كل اتجاه[2]، واستعملوا أيضا نظام السانية وهو دولاب مختلف الأحجام يدور فيرفع الماء من جهة الوادي أو النهر وتصبه في ساقية كبيرة من جهة الأرض أو البستان، ونظام الخطّارة وهو طريقة للسقي وتوزيع الماء، وشاعت بين المزارعين مصطلحات مختلفة كالفدان الذي يعبر عن الحقل(مساحة)، والزريعة للبذور والأزواج للبهائم التي تقوم بحراثة وقلب الأرض المعدة للزراعة والغرس[3].

هـ- أدوات الزراعة:

اهتم مزارعي المرية بأدوات الفلاحة كاهتمامهم بالأرض والبذور ونظم الري خاصة مع وجود المواد الأولية كالحديد الذي يدخل في صناعة غالبية الأدوات المستعملة في النشاط الفلاحي، وقد بلغ

عدد الوسائل والآلات رقما كبيرا بين الصغيرة والكبيرة، فمنها للحرث وقلب التربة، ومنها للعزق وتفتيت التربة، وأخرى لنزع الحشائش الضارة حول الغروس والأشجار، وكذلك أدوات للقطع ونشر الجذوع

---

(1) ي، هل- الحضارة العربية- ترجمة: د/ ابراهيم أحمد العدوي- مكتبة الأنجلومصرية- القاهرة- 1956- ص119.

(2) اكسبيراثيون سانشيز- نفسه- ص1379.

(3) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص237.

والأغصان الزائدة، وأخرى للتقليم، وأمقاص ومناجل وأوتاد لأدوات السقي...الخ. وقد ورد أسماء بعضها كأداة تسمى المرجيقل Marjiqal لتسوية التربة من أجل إعدادها للبذر والغرس، وأداة أخرى تسمى شنجولShanjul لعزق التربة المحيطة بجذور الأشجار[1].

4- التجارة:

[1] إكسبيراثيون سانشيز – نفسه–ص1380.

تشكل التجارة إلى جانب الصناعة والزراعة عناصر الازدهار الاقتصادي ورافدا من الروافد التي تدر الثروات على ممارسيها ونعني بهم التجار ودخلا إضافيا لمداخيل الدولة، ولاسيما مع توفر مقومات النشاط التجاري من سلع وبضائع، ومرافق كالأسواق والفنادق، وشبكة مواصلات، وخاصة إذا كانت المدينة على شاطئ البحر كحال المرية حيث يسهل تصريف السلع تصديرا واستيرادا.

وحظيت التجارة في عصر المرابطين بأوفر نصيب، وعرفت ازدهار بالغا وفتحت منافذ عديدة لتصريف السلع والمنتوجات الزراعية والصناعية ونمت التجارة الداخلية والخارجية، ويعود الفضل إلى حالة الاستقرار السياسي في دولة المرابطين وزوال سنوات الاضطراب، ووجود أسطول بحري قوي ومرهوب الجانب في حوض البحر الأبيض المتوسط يمنع هجمات الأعداء ولاسيما خطر القراصنة[1].

وقد تمخض عن مقدم المرابطين إلى الأندلس الذي أصبح في دولة واحدة مع المغرب الإسلامي وبلاد السودان فتح أسواق الأندلس أمام تجارة المغرب والسودان، وأسواق هذه الأخيرة أمام تجارة الأندلس وأسواق وبضائع أوروبا[2].

وما يمكن قوله عن التجارة في المرية أنها عرفت ازدهارا ونشاطا تجاريا متزايدا كما ازدهرت الصناعة والزراعة، وصار ساحلها معبرا للسفن ومحطا للمراكب والبضائع. تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام[3].

أ- أهمية المرية التجارية:

---

(1) د/ حمدي عبد المنعم محمد حسين- نفس المرجع- ص349.

(2) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص195.

(3) الحميري- الروض المعطار- ط1، ط2- ص538.

كان لاتخاذ المرابطين غرناطة قاعدة لهم في الأندلس دور كبير فيما بلغته المرية من شهرة اقتصادية وتقدم في مجال التجارة لقرب المسافة بينها وبين غرناطة وكونها الميناء القريب لقاعدتهم [1].إضافة إلى الموقع الجغرافي للمرية على مرتفع جبلي وبين المناطق الجبلية وعرة المسالك وقحالة الأرض فيها وعدم استقرار المياه، ووجودها على الساحل المتوسطي دور في اتجاه أهلها نحو التجارة[2].

وغدت المرية في القرن الخامس الهجري وأوائل السادس الهجري(5-6هـ/11-12م) من المراكز الهامة في التجارة الأندلسية وتشهد تجارة دولية ضخمة، حيث كانت المرية ومدن الأندلس تقوم بدور الوسيط والموزع في تجارة غرب البحر الأبيض المتوسط، إذ تستورد البضائع عبر ميناء المرية لتباع في الأسواق المحلية وتوزع بعد ذلك في الممالك المسيحية [3]. وبلغت التجارة ذروتها بالمرية أيام المرابطين حتى بلغ عدد فنادقها 970 فندقا يأوي إليه التجار من داخل الأندلس ومن خارجها مما يدل على سعة المدينة ووفرة المتاجر وكثرة النزلاء بها من التجار من المشرقيين والنصارى [4]. ولا ننس ما يلزم هؤلاء النزلاء من طعام وكساء بالشيء الفلاني، ومن يقوم على خدمتهم وحراسة متاعهم وسلعهم، ومن يعمل بالميناء لإنزال البضائع وحملها فكل هذا يؤدي إلى نشاط كثيف في المدينة يعود بالنفع على أهلها الذين يزدادون ثراء ورخاء، وعلى العمران نموا واتساعا.

ب- خطوط التجـارة :

---

(1) د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص88.

(2) نفسه- ص16.

(3) سيدرو شلميطا- صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي- ترجمة: مصطفى الرقي- مركز الدراسات للوحدة العربية- ط1-ج2- بيروت- 1998- ص1080.

(4) د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص169.

يمكننا أن نعبّر عن اتجاهات التجارة بالمرية بالخطوط التجارية سواء الداخلية أو الخارجية، حيث كانت المرية ترتبط مع المدن الأندلسية بشبكة طرق ومواصلات، وعن طريق البحر مع مدن الأندلس الساحلية، ومع أقطار المغرب الإسلامي والممالك الأوربية، ومع بعض أقطار المشرق الإسلامي.

وكان ميناء المرية يعجّ بالحركة ويعمّ بالنشاط، والسفن قادمة وذاهبة السلع محمّلة ومفرغة، وكانت السفن تأتي من شمال افريقية محملة بالبضائع من وهران وتنس، ومن الجزائر وبجاية، وسبتة وفاس وتونس[1]، ومن مدن المشرق كالإسكندرية والقاهرة [2] ومن المدن الأوربية كجنوة والبندقية بيزا وقطالونيا وأراغون[3]، وكذلك أمّن مرفأ المرية المبادلات التجارية مع بعض أقطار آسيا[4].

ج- التجـــار:

لقد سبق أن المرية كانت مركزا اقتصاديا هاما، ومحطة تجارية كبيرة سواء للأندلس أو غيرهم، وميناءها كان محط السفن والمراكب المحملة بالبضائع القادمة من إفريقيا وأوروبا والمشرق، ووفرت مرافقها العامة كالفنادق والأسواق والحمامات الراحة للنزلاء من التجار الذين وجدوا الظروف الملائمة للقيام بأنشطتهم التجارية حيث يخزنون بضائعهم بأمان ثم يوزعونها وقد يشترون سلعا أخرى، وقد بلغ مجموع الفنادق رقما كبيرا ما زاد في مكانة المرية بين محطات التجارة الدولية. وقد بلغ العدد ألف فندق إلا ثلاثين فندقا[5].

---

(1) د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص88.

(2) سيدروا شلميطا- نفس المرجع- ص1080.

(3) د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص89.

(4) جاك ريسلر- نفس المرجع- ص157.

(5) الحميري- الروض المعطار- ط1، ط2- ص538.

وإضافة إلى ذلك يمكننا أن نطلق على التجار القادمين من أماكن بعيدة خارج الأندلس اسم التجار الدوليون الذين يرحلون بعيدا حاملين سلعهم وبضائعهم بين أسواق الأندلس والأسواق الخارجية تربطهم علاقات تجارية مع التجار المحليين لتصريف السلع بيعا أو شراء سواء بالشراكة أو بربح معلوم أو بشروط معلومة عند الدفع أو التسليم. ونشير إلى نقطة مهمة تتمثل في تشكيل علاقات اجتماعية وثيقة من التجار المحليين والأجانب كالصداقة والمصاهرة والصحبة. وقد وجد في المرية نقوش على قبور تعود لأشخاص أجانب عن المدينة ولسنوات مختلفة ما يدل على استقبال المرية لتجار أجانب حطوا بها الرحال، مثل نفس يعود لسنة 513هـ/1119م)، وآخر لسنة 527هـ/ 1133م، ثم آخر يعود لسنة 540هـ/1145م[1]. وبصفة عامة قد أمن التجار فيها وبأموالهم وقصد إليها الناس من كل أقطارهم[2].

د- المبادلات التجارية :

لقد قدم إلى المرية تجار من كل حدب وصوب ومن كل الأجناس، وحط بمرفئها عديد السفن في غدو ورواح، وكانت الأساطيل ترسو لنقل محاصيل الأندلس عموما والمنتوجات الأندلسية [3]. كما تنوعت الصادرات بين الزراعية والصناعية والنسيجية والحجرية، غير أن المنسوجات الحريرية من حلل موشية التي أجاد أهل المرية في صنعتها ولم يثقف في أهل الأندلس مثلهم، وديباج وأردية وأكسية وستور وبُسُط...كانت عل رأس قائمة الصادرات، فالمنسوجات الكتانية والقطنية والألبسة الأخرى. وعلى العموم فإن الصادرات شملت أنسجة الحرير، زيت الزيتون الأواني الفخارية والخزفية، والتحف المعدنية، الأسلحة، آلات الحديد المختلفة كالسكاكين، والأمقاص المذهبة وغيرها من آلات الجند

---

(1) بيدرو شلميطا- نفس المرجع- ص1075.

(2) مجهول- جغرافية وتاريخ الأندلس- ص181.

(3) د/ حسن إبراهيم حسن- نفس لبمرجع- ص388.

والعرائس، وكذلك البُسُط التنتالية (نسبة إلى تنتالة من عمل المرية) [1] والمصنوعات الزجاجية والجلدية والمعدنية الأخرى والرخام الأبيض الصقيل... وكان الحصى الملون في المرية يُصدّر إلى المغرب ليضربوا به بعض أدوات الطعام [2]. ومنها كان يحمل الزعفران والكمون والجلود والأصباغ والغراء والرقيق، والورق والمرجان [3]، وقد وصل إلى سلجماسة جنوب المغرب وإلى بلاد السودان المنسوجات الحريرية والكتانية والقطنية، وإلى مصر الكتان وأردية بجانة الشهيرة إلى مكة واليمن، وصدر الرخام المري سواء المصنع وغير المصنع[4].

أما الواردات فقد كان يدخل ميناء المرية الأقمشة واللؤلؤ والقمح والتوابل كالفلفل والقرفة [5] وكذلك الجواري والعبيد من أسواق شمال إفريقيا والسودان ومصر[6].

---

(1) السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص171.

(2) د/ حسن علي حسن- نفس المرجع- ص286.

(3) بيدروا شلميطا- نفس المرجع- ص1080.

(4) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص ص207، 208.

(5) شلميطا- نفسه- ص1080.

(6) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفسه- ص209.

الفصل الخامس:

صور عن الحياة الاجتماعية

1-العلم والعلماء

2-التصوف

3-المساجد

4-الجهاد

5-المرأة

6-اللباس

7-الجنائز

8-المتنزهات

9-الاحتفالات

10-المطبخ

صارت المرية في عصر المرابطين مدينة من أهم مدن الأندلس مكانة وقيمة ودورا وثروة. وبلغ بها العمران والاتساع ذروته، مع كثافة سكانية كبيرة حيث وجد قاطنيها أو القادمين إليها الظروف المواتية للعيش والعمل في طمأنينة وهدوء.

استوطن المرية أجناس مختلفة على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم، تفاعلت هذه العناصر فيما بينها في حياة اجتماعية مشتركة سواء للمسلمين وغير المسلمين، فالمدينة تجمعهم كلهم في بيئة واحدة. وكان للمسلمين أعيادهم ولغيرهم أعياد كذلك، وأعياد مشتركة يفرح وينبسط فيها الجميع، في تناغم وتضامن.

كما كان التأثير المتبادل بارزا بين المسلمين وغيرهم. ويمثل المسلمين بشكل واضح العنصر العربي الذي يتكون منهم مجتمع المرية، واستطاع العرب تمتين علاقاتهم مع العناصر الأخرى عن طريق التعامل والسكن والزواج. وكانت اللغة العربية هي المسيطرة على لغة الخطاب والمعاملات، إضافة إلى اللغة العربية العامية كمجال للتفاهم بين السكان، كما أثر النصارى(أهل الذمة) في باقي العناصر بأعيادهم ولغتهم الرومنثية أي الإسبانية القديمة[1].

وعرف سكان المرية في حياتهم الاجتماعية عادات وتقاليد متنوعة بين التعليم والجهاد والتصوف والاهتمام بالمساجد والجنائز، واللباس، والنزهة والطبخ، والاحتفالات. إضافة إلى دور المرأة ومكانتها كعنصر فاعل في مجتمع المرية.

1- العلم والعلماء:

إن نشأة دولة المرابطين على فكرة دينية ثم تطورها إلى دولة أساسها الإسلام والدفاع عن المسلمين. كان له تأثير على الحياة العلمية في الأندلس أو في المرية على السواء.

---

[1] د/ مريم قاسم طويل- نفس المرجع- ص ص63، 66.

وقد كان المرابطون قوما متدينين، متمسكين بالدين وتعاليمه، شديدي الاحترام والإجلال لرجاله وحرص كل أمراء المرابطين بدءا بيوسف بن تاشفين، ثم علي بن يوسف، وتاشفين بن علي بن يوسف على إحاطة العلماء والفقهاء منهم بمظاهر الإجلال وأسبغوا عليهم وافر ظلهم، وكانوا لا يقدمون على عمل من الأعمال دون رضاهم[1] ووثقوا أواصر العلاقات معهم[2].

ولما ضم المرابطون الأندلس وجدوا فيها الفقهاء من ذوي العلم الغزير، فرفعوهم إلى مراتب عالية، وأصبح بعض القضاة حكام الأقاليم، وصار الفقيه حاكما مدنيا إلى جانب القائد المرابطين الذي كان حاكما عسكريا[3]، حيث لا يقطعون أمرا في الغالب إلا بعد استشارتهم، وأخذ رأيهم حرصا على إعلاء منزلتهم، ونظرتهم التي يكتسيها التبجيل للعلماء. وكان للمجاهدين منهم أكبر حظ وأفر نصيب[4].

وإذا تكلمنا عن عصر المرابطين فإننا نتكلم عن حقبة مميزة بخصائصها عما سبقها وألحقها من مراحل تاريخ الأندلس العامر بالفتوح الفكرية [5]، والحياة الفكرية في فترة المرابطين هي امتداد واستمرار للحركة الفكرية في عهد الطوائف، ومعظم علماء وفقهاء بداية الموحدين ولدوا عاشوا وتلقوا العلم مع بداية دخول المرابطين للأندلس[6].

---

(1) رينهرت دوزي- نفس المرجع- ص158.

(2) كمال السيد أبو مصطفى- دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة – مركز الإسكندرية للكتاب- الإسكندرية- 1997- ص12.

(3) د/ حسين مؤنس- سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس- ط1- مكتبة الثقافة الدينية- بور سعيد- 2000- ص24.

(4) د/ محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين- جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين (483- 640 هـ)- ط1- دار أصداء المجتمع- القصيم- 1988- ص182.

(5) محمد الأمين بلغيث- الحياة الفكرية بالأندلس عصر المرابطين(أطروحة دكتوراه دولة)- كلية العلوم الإنسانية- 2003/2002- ص103.

(6) مصطفى داودي- الترجمة في الأندلس(ودورها في النهضة الأوربية الحديثة)- ط1- دار التنوير- الجزائر- 2012- ص75.

كما تأثر أمراء المرابطين في الأندلس بالحضارة التي وجدوها، والرقي الذي رأوه، خاصة بعد معايشتهم للأندلسيين، والاحتكاك بهم، ووجود سبل الحياة المتقدمة كحال أمير المرية في عهد علي بن يوسف، الأمير عمر بن الإمام الصنهاجي الذي أقبل على الثقافة[1].

وساهمت المرية في الحركة العلمية بالأندلس، وأنجبت عدد من كبار مفكري الأندلس، وكان عصر المرابطين أزهى العصور الذي ازدهرت فيه المرية في كل نواحي الحياة الأمر الذي يعبّر عن دور المرابطين في دفع عجلة الحضارة الأندلسية عموما[2].

والمرية إضافة إلى كونها قطبا اقتصاديا وتجاريا، فقد كانت مكانا للعلم والتعلم والتعليم لأهلها أو للوافدين عليها نظرا لإمكانياتها ومرافقها، إضافة إلى موقعها الاستراتيجي على سواحل البحر الأبيض المتوسط وشبكة الطرق التي تربطها بباقي مدن الأندلس، إذ كانت منفذا لأهل شرقي الأندلس منها يركب العلماء إلى الشرق للحج وطلب العلم، وأدل مثال على ذلك العالم الكبير أبو علي الصدفي الذي ارتحل منها نحو الشرق عام 481هـ/1088م لطلب العالم، وعاد أيام المرابطين لمواصلة مسيرته[3].

*** علوم اللغة والدين:**

وقد برز في المرية على عهد المرابطين العديد من الفقهاء والعلماء والأدباء والكتاب جمعوا بين صنوف العلوم سواء الأدبية أو الدينية، وكان لهم شأن كبير في ميدان العلوم، ولهم تأثير في المجتمع وفي الحياة العامة.

---

[1] د/ الحسن السائح- نفس المرجع- ص178.

[2] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص186.

[3] د/ محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين- نفس المرجع- ص79.

ونذكر من العلماء الأديب أبو مروان عبد الملك بن سّميدع، والشاعر النحوي أبو الحسن سليمان بن محمد بن الطراوة نحوي المرية الذي كانت له شهرة في التعبيرات النحوية، أبو الحسن محمد بن سفر، أبوعبد الله بن جعفر بن شرف البرجي يوسف بن يبقى بن يوسف التجيبي المعروف بابن يسعون المسلّم له في صناعة الأدب، والأديب النحوي أبو عبد الله محمد بن الفراء الذي كان يعلم القرآن والنحو واللغة في المرية وفيه فطنة وذكاء. المفسر أبو بكر محمد بن إبراهيم بن أسود الغسّاني، المقرئ المحدث أبو على الصيرفي(ابن سكرة) السرقسطي الذي استوطن المرية واستشهد في معركة كتندة عام 514هـ. المحدث أبو عبد الله محمد بن سعدون القروي، أبو عبد الله بن المرابط، عمر بن أحمد الوضاحي القيسي(ت 536هـ) أبو علي الحسن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الرمبيل(ت 585هـ)[1]، والفقيه عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي ولي قضاء المرية 529هـ(ت546هـ)، وكان من بيت علم وفضل وكرم ونبل، فقيها نبيها عارفا بالأحكام والحديث والتفسيرن أديبا شاعرا لغويا ضابطا مقيدا[2].

وقد ضمت المرية العديد من الفقهاء والعباد والزهاد والرواة والمحدثين والفضلاء كأحمد بن مروان الأموي المعروف بابن اليّمنالش(413- 496هـ)[3]، أحمد بن عثمان بن مكحول(ت513هـ)[4]، أحمد بن موسى الصنهاجي المعروف بابن العريف(ت536هـ)[5]، أحمد بن محمد بن عمر التميمي

---

(1) د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص ص197، 182.

(2) أبو الحسن المالقي النبهاني- تاريخ قضاة الأندلس- تقديم: د/ صلاح الدين الخطوري- ط1- المكتبة العصرية- بيروت-2006 – ص122.

(3) ابن بشكوال- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم- تحقيق: بشار عواد معروف- مجلد1- ط1- دار الغرب الإسلامي- تونس- 2010- ص118.

(4) نفسه، ص121.

(5) نفسه، ص131.

الملقب بابن ورد التميمي(ت 546هـ)[1]. خلف بن محمد المعروف بابن العريبي(521- 580هـ)[2]. الخضر بن عبد الرحمن بن سعيد القيسي(470- 540هـ)[3]، عبد الله بن علي الرشاطي(466- 542هـ)[4]، عبد العزيز بن عبد الملك بن شفيع(430- 514هـ)[5]، عبد القادر بن محمد الصدفي(427- 507هـ)[6]. والمفسر علي بن عبد الله بن موهوب (ت532هـ)[7].

*** التاريخ والجغرافيا:**

ساهم علماء المرية في حركة التأليف في مجال الجغرافيا والتاريخ في عصر المرابطين كالعالم البارز المفسر الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف المعروف بابن حبيش الذي اشتهر في التاريخ والجغرافيا وكان فيلسوفا ومؤرخا وفقيها ومن مصنعاته كتاب: " ذكر الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الحافلة الكائنة في أيام الخلفاء(الأول إلى الثالثة)" [8].

[1] ابن بشكوال- نفس المصدر- ص132.
[2] نفسه- ص243.
[3] نفسه- ص254.
[4] نفسه- ص387.
[5] نفسه- ص470.
[6] نفسه- ص491.
[7] مصطفى داودي- نفس المرجع- ص78.
[8] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص182.

2- التصوف:

وجد التصوف لنفسه مكانا في الأندلس بين المذاهب والناس، وكان له شيوخا ومريدين وأتباعا. كما كان له تأثير على الحياة والأوضاع.

وكان للتصوف على مستوى الخطاب منحيين: تصوف سلوكي يقوم على محاسبة النفس وتقويم السلوك بمعنى تأديب النفس ومراقبة تصرفاتها وتعويدها على الأفعال الحسنة والصحيحة. وتصوف باطني عرفاني يشتغل بأمور الباطن طلبا للمعارف. وقد استمدت الصوفية في الأندلس جذورها من تأثيرات مدرسة ابن مسرّة(ت519هـ)، وابن العريف(ت536هـ)، وابن برجان(ت536هـ)، وابن قسُي(ت546هـ)[1].

ويعد محمد بن مسرة الجبلي(ت 519هـ) أول من نقل الزهد في الأندلس من الدائرة الفردية إلى دائرة الجماعة بمعنى من ممارسة فردية إلى ممارسة جماعية حيث يشرك الجميع في هذه الأفكار وطريقة ممارستها، مكونا- ابن مسرة- بذلك المنطلق الأساس للمدرسة الصوفية الفلسفية الأندلسية التي ستستمر في الظهور والانتشار بعد ذلك رغم التضييق على أصحابها.

وكانت حاضرة المرية مركز الإشعاع الصوفي في عهد المرابطين فقد كون أبو العباس بن العريف الذي توفي عام 536هـ مدرسة صوفية بنى أسسها الفكرية على تعاليم ابن مسرة، والتزم ابن العريف في تصوفه طريق الاعتدال ما انتهى إليه الزهد من تطور في التجربة الروحية العلمية. كما كان له باع في الشعر للتعبير عن حياة التصوف والزهد، وبرز من تلامذته أبو بكر الملوكيني الذي نشط في غرناطة، وأبو الحكم المعروف بابن برجان ت536هـ وقد نشط في اشبيلية، وأبو القاسم بن قسَّي توفي

---

(1) د/ عبد الرحيم العلمي- الحركة الصوفية بالأندلس خلال القرن8هـ/ 14 م (نصوص وأبحاث)- دار الأمان- الرباط- 2009- ص50.

546هـ الذي نشط في غرب الأندلس وبث أفكار المدرسة حتى بين الأوساط النصرانية، كون من مريديه فرقا اعتمدها بثورته ضد الموحدين [1]. ويظهر جليا تأثير ابن العريف من قيمة تلامذته والمدن العامة والنواحي التي انتقلت إليها أفكاره، وتزايد الأتباع والمريدين.

وابن العريف اسمه أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله بن العريف الصنهاجي ولد عام 481هـ وتوفي عام 536هـ، أبوه كان من رجال المعتصم بن صمادح حاكم المرية في عهد الطوائف، نشأ بن العريف في تواضع واشتغل عند حائك، وقرأ القرآن على أبي الحسن البرجي بالمرية، وعلى أبي القاسم بن النخاس بقرطبة وأخذ الحديث في المرية عن أبي خالد يزيد مولى المعتصم، وعلى يد ابن الفصيح، وأبي محمد عبد القادر بن الحناط القروي. وتصدّر ابن العريف في المرية للإقراء، واشتهر بالزهد والعبادة، وكثرت أتباعه على طريقته الصوفية. وألف كتاب سماه" محاسن المجالس" ضمنه أصول طريقته الصوفية الجديدة والتي جوهرها الزهد في كل شيء ما عدا الله [2].

3- المساجد:

إن المسجد هو النواة الأساسية للمجتمعات الإسلامية حوله يتوسع العمران، وتتشعب الحياة. وهو ملتقى المسلمين في العبادة ومناقشة الأحوال وحل المشاكل والنوائب. وكانت المساجد دوما حارسة عالم الإسلام. وهي مراكز الإيمان ورموزه، وقد عاشت الأمم الإسلامية بفضل الإسلام. وحول راية الإسلام الرفيعة يجتمع الناس، وفي ظلها ساروا مستلهمين عزتها وتمكنوا من تحرير بلادهم[3].

---

(1) د/ كروم بومدين- أبو الحسن الششتري الصوفي الجوال(حياته وشعره)- ط1- دار التوفيقية- الجزائر-2011- ص ص1،3.

(2) د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص184.

(3) حسين مؤنس- المساجد(37)- سلسلة عالم المعرفة- الكويت- 1981- ص28.

وفي المرية كانت المساجد مراكز للعلم والتعلم والتعليم، ونشر مبادئ الإسلام يجتمع فيها الناس وأقيمت عليها كنائس عند استيلاء النصارى عليها، ومن أهم المساجد التي ذكرت مسجد اللبيسي وصاحبه عبد الرحمن بن أبي رجا البلوي يقع في ربض الحوض(الربض الغربي)، مسجد حبونة، ومسجد طرفة.

أما المسجد الجامع بالمرية التي تظهر أثاره في كنيسة سان خوان القريبة من دار الصناعة يعود إلى الحكم المستنصر والأصح إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي أمر ببنائها، وكان المحراب مربع في تخطيطه طول كل ضلع 1,90 م تعلوه خصّة على شكل قوقعة، وفي عصر زهير الفتى 419-429هـ/1028م-1038م أضاف له زيادات عندما اتسعت المدينة وحبس له الأوقاف من فنادق وحوانيت الواقعة قبالة الجامع وفي شرقيه، وبنى له السقاية وجلب لها المياه من عين النطية[1].أنظر الشكل5 .

4- الجهاد:

كان دخول المرابطين إلى الأندلس تاريخا فاصلا بين عهد الطوائف الذي امتاز بالدعة والمهادنة اتجاه النصارى، وبالفرقة والاختلاف والصراعات بين ملوك الطوائف وعهد المرابطين الذي تميز بالمواجهة وصد النصارى المسيحيين، فالمرابطون قوم عقيدتهم الجهاد، وهدفهم إعلاء راية الإسلام، وغايتهم الاستشهاد في سبيله، قضوا سنينهم في الأندلس من معركة إلى أخرى يحاربون النصارى ويدفعون غاراتهم، وقد سخروا كل مجهوداتهم وطاقاتهم للحفاظ على أراضي المسلمين، واسترجاع ما سلب منهم.

وأمضى يوسف بن تاشفين منذ أن ضم الأندلس إلى الدولة المرابطية حياته في جهاد

[1] د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية الإسلامية- ص ص145، 147.

النصارى حتى وفاته عام 500هـ (1106م)، ثم خلفه ابنه علي بن يوسف الذي سار على نهج أبيه في متابعة الجهاد برغبة صادقة[1]. وقد شغل الجهاد تفكيرهم للذّب عن ثغور المسلمين، ولا أدل على ذلك إلا إرسال علي بن يوسف إلى الفقيه ابن رشد الجد يستشيره في الجهاد وأفضليته[2].

وكان لسيادة المرابطين على الأندلس أثر حسن في الرفع من الروح المعنوية عند الأندلسيين، وتغيير سلوكياتهم اتجاه النصارى، حيث حل محل الفروسية الهائم، والملاهي الناعمة، والدعابة المصطنعة، والفتور النسوي، روح حربية قوية، واعتدال متقشف، وذكاء فطري ورجولة متينة[3].

فخلال فترة المرابطين رغم قصرها، أصبحت البلاد معسكر كبير للجيوش وقد شارك في الجهاد مختلف فئات الشعب، وعلى رأسهم الفقهاء والقضاة ورجال الدين الذين استشهد منهم الكثير كقاضي المرية أبو عبد الله الفراء الذي استشهد في معركة كتندة [4] . ويقال لها قتندة من حيز دورقة من عمل سرقسطة[5].

أما المرية فكانت مركزا للجهاد الإسلامي بالأندلس في عهد المرابطين وقاعدة لانطلاق المجاهدين، حيث بها دار صناعة السفن التي تنتج مختلف أنواع السفن، وعدة الحرب اللازمة، ويرسوا بها الأسطول المرابطي الذي يدفع خطر النصارى عن المسلمين، وفيها يتم ترتيب الأسطول ومنها يخرج المسلمون لغزو الفرنج[6].

---

(1) د/ محمد عبد الله عنان- دولة الإسلام في الأندلس(عصر المرابطين والموحدين)- ط2- مكتبة الخانجي- القاهرة- 1990- ص58.

(2) كمال السيد أبو مصطفى- دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة- مركز الإسكندرية للكتاب- الإسكندرية- 1997- ص27.

(3) يوسف أشباخ- نفس المرجع- ص251.

(4) د/ حمدي عبد المنعم حسين- نفس المرجع- ص325.

(5) المقري- نفسه- ج4- ص461

(6) ياقوت الحموي- معجم البلدان-ج5- ص119.

وقد توارثت عائلة بن ميمون قيادة الأسطول في المرية التي بها القسم الأكبر من الأسطول. ويقول المقري عن عبد الله بن ميمون قائد الأسطول:"... الذي قهر النصارى في البحر وقطع سفرهم فيه، وخرب على بلاد الرمانية، فقتل وسبى، وملأ صدور أهلها رعبا "[1].

ويمكننا أن نقول أن المرية في ذلك الوقت كانت من ثغور المسلمين بالأندلس أين يرابط الجيش والأسطول بها لرد غارات النصارى من جهة البحر ويقوم أهلها بحماية الساحل الشرقي للأندلس خاصة مع تربص النصارى وترصدهم لأي فرصة لغزو المسلمين وتخريب أملاكهم وسبي أبنائهم. وكان للعلماء دور في الدعوة إلى الجهاد والحث عليه والترغيب فيه، مع المشاركة في مختلف المعارك.

5- المرأة:

[1] المقري- نفخ الطيب- ج3- ص20.

كانت المرأة جزء لا يتجزّأ من الأسرة والمجتمع الأندلسيين، حيث حظيت بمركز متميز، وساهمت في الحياة العامة، وكانت إلى جنب الرجل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وقد اختلفت حياة المرأة من فئة إلى أخرى حسب المكانة والثروة ومستوى المعيشة.

والمرأة الأرستقراطية اختلفت حياتها عن المرأة الأخرى إن لم تكن مضطرة إلى العمل أو القيام بأي نشاط أو جهد داخل البيت أو خارجه لوجود الخدم الذين يكفونها المؤونة ومشقة العمل، وكان لها شأن مهم في توجيه البيت أو الأسرة، كما أتيح لها فرصة التعلم[1].

أما المرأة لدى الفئة العامة فعلاقتها بالرجل قائمة على التعاون والتضامن الذي فرضته الحياة، وظروف المعيشة حيث يخرج الرجل للعمل وتحصيل قوت عائلته ومصاريف الحاجيات الأسرية، بينما المرأة تساعده في تدبير شؤون البيت وتربية الأطفال، والقيام بالأعباء المنزلية لعدم وجود خدم أو جواري لمساعدتها، وأحيانا كثيرة تضطرها الظروف للخروج والقيام ببعض الأعمال كالبيع والتجارة[2].

أما ما يتعلق بلباس المرأة في المرية فهو يختلف حسب الفصول، من الثقيل والخفيف، والثمين والمتواضع، وعلى قدر المكانة الاجتماعية، والاستطاعة المادية. وبما أن المرية تشتهر بالمنسوجات الحريرية والكتانية والقطنية، فيكثر ارتداء الألبسة الحريرية والديباجات، وتصنع المرأة الخمار على رأسها فينسدل على وجهها، وتستعمل المعاجر لتشد رأسها أو تغطية وجهها. وتتزين بأبهى الحلي من مرجان وفضة وذهب[3].

---

(1) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفسه- ص316.

(2) نفسه- ص317.

(3) نفسه- ص321.

والنساء في المرية إضافة إلى حياتهن الخاصة، فقد كن كالرجال يخرجن في المناسبات المختلفة في جماعات كبيرة[1] كالأعياد الدينية وأعياد المدينة كعيد العصير والمشاركة في حفلات الزواج والختان، وزيارة المقابر لتذكر الموتى ونيل الأجر ، كما يخرجن مع الرجال إلى المتنزهات وأماكن المياه الحارة للتمتع والاسترخاء[2]، كما أن للمرأة دور في الحياة الاقتصادية في المرية حيث كن يقمن بالحياكة والنسيج لكثرة المناسج المنزلية[3].

6- اللباس:

كان سكان المرية شديدي التأنق في اللباس حسب الحالة ومستوى المعيشة ويتنوعون فيه خاصة مع شهرة المدينة في الصناعات النسيجية ومنها الحرير وقد ارتدوا ألبسة الحرير والكتان والقطن، ويرتدي الناس ما طاب لهم حسب كل فصل. فللشتاء لباسه، وللربيع وللصيف ألبسة، وللخريف لباسه الخاص[4].

7- الجنائز:

توجد بالمرية مقبرتان كبيرتان خارج أسوار الربضين، وهما مقبرة بجّانة التي دفن فيها الكثير من المشاهير[5] الذين سكنوا المرية إضافة إلى بعض من قدم المدينة وقطنها عند عبوره. ومن عادات أهل المرية عند الحزن وفي الجنائز لبس اللون الأبيض تعبيرا عن الحزن عكس المشارقة الذين يلبسون الأسود[6].

8- المتنزهات والاستجمام:

(1) د/ مريم قاسم طويل- نفس المرجع- ص79.
(2) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص336.
(3) سراج الدين ابن الوردي- عجائب البلدان- تحقيق: أنور محمود زناتي- ص32.
(4) د/ مريم قاسم طويل- نفس المرجع- ص78.
(5) د/ السيد عبد العزيز سالم- تاريخ مدينة المرية- ص129.
(6) د/ مريم قاسم طويل- نفس المرجع- ص78.

عرفت المرية أيام المرابطين حياة اقتصادية واجتماعية نشطة وحيوية مليئة بالحركة والتفاعل والجهد، فكان على السكان أن يبحثوا على فرص أخرى للراحة والهدوء والاسترخاء والاستمتاع بالحياة وبالطبيعة الخلابة.

وكانت هذه الأماكن في المتنزهات والبساتين، حيث ضمت المرية العديد منها يقصدها السكان ولاسيما وقت الحر والغيض للتبرّد ودفع الحرارة حيث ينعمون بالهدوء والراحة بعيدا عن متاعب الحياة اليومية في المدينة، وكانت الخضرة (الاخضرار) من نبات وأزهار في كل مكان من المتنزهات والبساتين حتى تبعث الانشراح والانبساط فيهم، وتأنس نفوس الناس برؤية الاخضرار والألوان الزاهية[1].

وقد تألق أهل المرية في تنسيق البساتين والمتنزهات والمنيات، وتصفيفها وتنميقها حتى تبدو بشكل رائع ومثير. حيث يبدأ البستان بطريق يؤدي إليه يغرس على جانبيه صنوف الأشجار الباسقة والمتراسة كشجر السنديان العالية لإضفاء مزيد من الجمال والروعة والظلال فيسير الناس تحت الظل يحفهم النسيم. ثم يأتي البستان الذي يحاط بأسوار عالية ويغرس تحته النباتات فلا يظهر إلا الاخضرار، ويجعل فيه الخمائل وأشباه الغرف بينها ممرات وأبواب اكتست بالخضرة، كما يزرع مختلف الرياحين والأزهار العطرة في أحواض ومساحات صغيرة، ونجد من الأزهار زهور الآسي والأقحوان، وأزهار الياسمين الأصفر والأبيض والبنفسج والسوسن. والبساتين والمنّيات في المرية

[1] د/ محمد أحمد أبو الفضل- نفس المرجع- ص207.

كثيرة كالموجودة في برجة ودلاّية، ومنها دوح البان، واد البيني، موضع الأريطي، الدويحات منى غسّان، منى النجاد، بركة الصفر، عين النطية، منى عبدوس[1] ويقال له بالاسبانية bena hadux وهي تقع في بسيط أخضر فيها حدائق وأشجار النخيل، وبساتين بلدة جودر(غدر) Gador التي تقع في واد عميق أخضر به زروع نظرة وحدائق برتقال غناء[2].

إضافة إلى الحدائق الغنّاء والمنيات الفيحاء اشتهرت المرية بوديانها الخلابة المغروسة بالأشجار والنباتات تنساب مياهها انسيابا رائعا كوادي برجة الذي يسمى بوادي عذراء[3]. ولا ننس وادي المرية الذي يقال له أيضا وادي بجّانة وطوله أربعون ميلا في مثلها كله بساتين بهجة وجنات نظرة وأنهار مطردة وطيور مغردة[4]، ولقد كان أعيان المرية يمتلكون فيه البساتين والمتنزهات يقصدونها للنزهة وطلب الراحة والهدوء بعيدا عن ضوضاء المدينة[5].

وهناك نوع من التنزه والاستجمام يتمثل في المياه المعدنية الحارة يمكن أن نقول عليه السياحة الاستشفائية، حيث كان سكان المرية يذهبون إلى أماكن المياه الحارة التي تسمى الحمّة، وأشهرها حمّة بجانة أو حصن الحمة القريب من المرية، الذي عٌرف بعيونه الحارة موجودة في رأس الجبل متقن البناء وساخن الماء، ويقصده المرضى ومن كان يريد الاستشفاء من بعض الأمراض، أو النقه بعد العلاج ليستعيدوا صحتهم وعافيتهم لما فيه من حرارة ودفئ يبعث على الاسترخاء وليونة الجسم، ومن أهل المرية من كان يقصده طوال أيام السنة، ومن عاداتهم آنذاك أن يقوم الكثير باصطحاب نسائهم

---

(1) د/ محمد أحمد أبو الفضل- نفسه- ص207.

(2) د/ محمد عبد الله عنان- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال- ط2- مكتبة الخانجي- القاهرة- 1997- ص265.

(3) المقري- ج3- ص151.

(4) المقري- ج3- ص163.

(5) د/ مريم قاسم طويل- نفس المرجع- ص89.

وأبنائهم جماعات جماعات ولا سيما أيام الربيع أين تخضر الأشجار، وتزهر الورود في مناظر رائعة على شكل أعياد يحتفلون بالمطاعم والمشارب، ويتوسعون في الإنفاق على أنفسهم وعائلاتهم، ويقيمون أياما في بيوت يكترونها فترة بقائهم[1]. وحمة بجانة بناها خيران العامري أيام حكمه للمرية تقع في بجّانة على بعد ثلاثة أميال منها وتعرف اليوم باسم sierra alhamilla[2].

9- الاحتفالات:

كان سكان المرية كغيرهم من أهل الأندلس يحبون الاحتفالات واللهو والاستمتاع، فقد كانوا يسمعون الموسيقى التي تعتبر عاملا في رفع مستوى الحياة الاجتماعية، كما كان لهم أعياد مختلفة، فقد احتفل المسلمون بعيدي الفطر والأضحى في أجواء إيمانية وتوسعوا في الإنفاق ولبسوا ما حسن وطاب من لباس. إضافة إلى المواسم الدينية كيومي عاشوراء والمولد النبوي الشريف، ولأهل الذمة مناسباتهم التي يحتفلون بها كذلك في طقوس خاصة بهم، وهناك أعياد مشتركة بين الجميع في المرية وأهمها عيد العصير عند جني محاصيل العنب وهو محصول ينتج بوفرة في المرية. حيث ينتقل السكان إلى الحقول المخصصة للكروم، ويقيمون هناك عدة أيام في أجواء من الفرح والانبساط محتفلين بالأكل والرقص والموسيقى. ويجمعون المحاصيل بالتعاون والتشارك. كما احتفل سكان المرية بمناسبات اجتماعية أخرى كالانتصارات الحربية، وولائم مختلفة كالختان والزواج بالموسيقى وألعاب الفروسية وسباقات الخيول، وحفلات الصيد والقنص[3] .

---

(1) د/ عصمت عبد اللطيف دندش- نفس المرجع- ص336.

(2) د/ مريم قاسم طويل- نفس المرجع- ص158.

(3) نفسه- ص78.

10- الطعام والمطبخ :

تطورت المدن الأندلسية كثيرا خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين(10-11هـ)، واستمر التطور كذلك خلال القرنين اللاحقيين(5 و6هـ) حتى بداية القرن السادس الهجري(11م-12م). ولم تشد المرية عن القاعدة، إذ عرفت ازدهارا اقتصاديا، واتساعا عمرانيا، واكتظاظا سكانيا، وكانت بحق مركزا حضاريا، وملتقى بشريا، وجزءا أساسيا في اقتصاد الأندلس وفي شبكة التجارة الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط.

وكان لموقع المرية الساحلي وكثرة السفن ومنها سفن الصيد، والنشاط الزراعي والفلاحي الكثيف الموجود بها، وقوة الصناعة والتجارة، ويسر الحال لدى أهلها، دور في توفر الخيرات والمواد اللازمة للمطبخ وإعداد الطعام وبالتالي الاهتمام بالصحة البدنية. فتوفرت الأسماك بشكل كبير واللحوم والطيور، الخضر والفواكه بأنواعها، الألبان والأجبان، والزيوت والتوابل.

وقد وفرت الصناعة في المرية الكثير من أدوات الطبخ الضرورية لإعداد الأطعمة. ويوجد بمطبخ العائلة عديد الادوات كالموقد والتنور والقدور بمختلف الأشكال والأحجام مصنوعة من الفخار والنحاس، ومن مواد أخرى. كما نجد أدوات مثل القصرية لطبخ السمك، والطنجير بفم واسع لإعداد السمك أيضا، والغضارة لتقديم الأكل المطبوخ، والمعجنة حاوية لتخمر العجين قبل خبزه. والشويق أسطوانة خشبية لفرش العجين والصلاّية وهي لوح رخامي يفرش عليه رقائق العجين. والقصبة لتحريك الطبخ في القدر، والقضيب أداة تستعمل لطرق اللحم، والقفة سلة مصنوعة من الخلفاء لتصفية المصل عند صنع الجبن، والمروحة هي أيضا من الحلفاء لتهوية النار، المغرفة للكيل وتحريك الطعام، وملاعق لتسوية العجة من أطراف المقلاة، الغربال لغربلة الدقيق وما إلى ذلك، الخيط لتقطيع البيض

المسلوق، والمهراس من الرخام الأبيض أو الخشب لدق التوابل والأعشاب. ولإعداد نوع من الكسكس يستعمل الكسكاس[1].

[1] دايفد وينز– فنون الطبخ في الأندلس– ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة– مركز الدراسات للوحدة العربية– ط1– ج2– بيروت– 1998– ص ص1023، 1029.

الخاتمة

ونصل في خاتمة هذا البحث إلى مجموعة حقائق منها أن الأندلس كانت ولازالت فردوسا بنيناه وضيعناه، وتاجا على رؤوس المسلمين، ومعجزة من معجزاتهم التي أشاعت حضارة على جنوب وغرب أوروبا، وهذه الأندلس عرفت في تاريخها عدة دول منها دولة المرابطين الذين قدموا إليها منقذين ومجاهدين حاملين لواء الدفاع عن الإسلام والمسلمين واقفين في وجه النصارى وحركتهم الاستردادية ولم يمنع نشاط المرابطين الجهادي الكثيف أن يولوا اهتمامهم وعنايتهم لجوانب الحياة الأخرى، والتركيز في سياستهم على المدن الهامة والرائدة والمحورية كالمرية وتدعيمها وإحاطتها بفائق العناية .

فمدينة المرية هي ثمرة من ثمرات الدولة الأموية في أيام مجدها وعزها، إذ بلغ العمران أوج اتساعه ورونقه في فترة الخليفة عبد الرحمن الناصر 300–500هـ (912 – 962 م) الذي أمر ببنائها وتمصيرها وتسويرها وجعلها قاعدة بحرية للأسطول الأموي، وكان سبب إنشائها هو حراسة وحماية مدينة بجانة القريبة منها ومراقبة الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس في تلك النواحي، أي أنها كانت رباطا للجهاد وثغرا بحريا مهما يأتيه المجاهدون ويرابطون فيه، وما كان لهذا الدور الذي أنشئت من أجله المرية كرباط لولا موقعها الاستراتيجي الهام والحساس فهي على مرتفع جبلي يسمح بالرؤية لمسافة بعيدة مما يعطي تغطية واسعة للمرابطين والحراس، وامتيازها بخليج بحري فائق الأهمية يتصف بالاتساع والعمق وهدوء الأمواج مما يساعد على الرسو والإبحار براحة، ويستطيع حمل عدد كبير من السفن والمراكب .

وبمرور الوقت تفوقت المرية (مرية بجانة) على بجانة وفاقتها تطورا وازدهارا حتى صارت قاعدة الإقليم ومركز الجهة، وسيطرت على الأحداث ووفد إليها الناس من كل حدب وصوب، وكانت

المرية عبر مختلف مراحلها التاريخية من العهد الأموي إلى فترة خيران وزهير العامريين إلى مرحلة بني صمادح تتمتع بالريادة والتفوق والعناية لأهميتها البحرية، وموقعها الممتاز كقاعدة كبرى للأسطول ومحطة هامة للتجارة والمبادلات، وقد تطور عمرانها باضطراد حيث تشكلت القصبة والمدينة القديمة والربضين ونمت أعمالها ومدنها وقراها، حتى بلغت قمة الازدهار في فترة المرابطين – فترة البحث– الذين قدموا إلى الأندلس بعد الزلاقة، هؤلاء الذين استشعروا قيمة المرية وأهميتها فجعلوا منها قاعدتهم البحرية الكبرى والأولى وكانت معظم قطع الأسطول ترسو في مرفئها، خاصة لقربها من غرناطة مركز حكمهم في الأندلس، وقاموا بدعم النواحي الاقتصادية والاجتماعية فيها .

لقد سكن المرية عناصر مختلفة من عرب وبربر وصقالبة وسود وأهل ذمة مشكلين فئات عدة عاشوا وتعايشوا في أجواء تتسم بالتسامح والتشارك والعمل والنشاط في مدينة حوت مرافق متنوعة أتاحت سبل العيش المريح وفرص العمل في مجالات شتى، حتى بلغ العمران ذروته وزادت الكثافة السكانية التي قدرت بـ27000 نسمة دون احتساب مدنها وقراها وضياعها .

ومع اهتمام المرابطين بالمرية وإحاطتها بفائق العناية بلغ الازدهار الاقتصادي قمته وأوجه، ونمت الحياة الاجتماعية فيها، فالصناعة مثلا بلغت مكانة مرموقة نظرا لتوفر المواد الأولية التي تدخل في مختلف الصناعات في المرية وأعمالها واشتهرت الصناعات النسيجية المختلفة ولاسيما الحريرية منها وتنوعت المنتوجات بين المحلي والأجنبي، وبرع أهل المرية وأتقنوا في إجادتها وكثرت الأنوال(المصانع) والفنادق والقيساريات ...وتم صناعة عديد الأشياء والمصنوعات الحديدية والرخامية والزجاجية والفخارية، والأثاث والجلود والحلي والجواهر، وصناعة السفن والمراكب، وضرب العملة والنقود ونالت الزراعة نصيبها من الإنتاج فتعددت المزروعات بين الخضر والفواكه والأجبان والعسل والصوف ...وأشجار التوت، وتم تربية الماشية في بوادي وأرياف وجبال المرية، وكان للنشاط

البحري وصيد الأسماك مكانته عند أهل المرية لوقوعها على الساحل المتوسطي ووجود مراكب وقوارب الصيد.

أما التجارة فهي أيضا لها مكانتها ودورها في اقتصاد المرية والمرابطين وأضافت مداخيل إلى أهلها وللدولة، حتى صارت المرية قاعدة تجارية متوسطية وعالمية يقصدها التجار من كل الأقطار وتحط بها المراكب من كل الجهات لتفريغ وشحن المنتوجات والبضائع الكثيرة، وقد وجد التجار ظروف مواتية للإتجار والإقامة من فنادق ناهز عددها الألف وحمامات وحوانيت وقيساريات، إضافة إلى الاستقرار والهدوء في تلك الفترة، وقد نشطت المبادلات التجارية بشكل مكثف سواء الداخلية أو الخارجية .

وكما كانت المرية قطبا اقتصاديا رائدا ومحوريا في فترة المرابطين فقد كانت مجالا خصبا للعلم والعلوم والتعليم أين برز علماء وفقهاء وأدباء بارزين وأجلاء ساهموا في الحياة الاجتماعية، وشاركوا في جهاد النصارى ومدافعتهم حتى استشهد الكثير منهم في أرض المعارك، وهناك حقيقة لا يجب إغفالها وهي أن المرية كانت مركزا للصوفية ومقرا لكبار الصوفية كابن العريف وتلامذته وأتباعه، ومركزا للإشعاع الصوفي آنذاك، ونضيف إلى ذلك المساجد ودورها في التعليم والدعوة إلى الإصلاح والجهاد، الذي كان سمة المرابطين وأساس دولتهم وركنها المتين، فكانت المرية منطلقا للجهاد ومراكب الجهاد يقدم إليها وينطلق منها الدعم .

وقد كان لأهل المرية عادات أخرى وتقاليد سواء في اللباس والتأنق أو الاحتفالات المختلفة كالأعياد وجني المحاصيل والانتصارات وحفلات الزواج والختان، أو احتفالات أهل الذمة، أو الخروج للتنزه والاستجمام فالكل يمرح ويلعب في حبور وسرور في أجواء رائعة تتخللها المسابقات الفروسية والموسيقى والرقص ...وكان لأهل المرية عاداتهم أيضا في الجنائز والأحزان كتميزهم باللباس

الأبيض عند الحزن، كما كان للمرأة دورها ومكانتها ومشاركتها في الحياة الاجتماعية بالمرية، كما امتاز مطبخ المرية المرية بالتنوع والأطباق الشهية، ومن هنا نرى أن أهل المرية انخرطوا في الحياة الاجتماعية بشكل واسع وفي كل المجالات .

والحقيقة الثابتة هي أن المرية في فترة المرابطين كانت مدينة هامة وأولى لعبت دورها الاستراتيجي العسكري، ودورها الاقتصادي التجاري بين مدن الأندلس، حباها الله بالموقع الممتاز، والخيرات التي تصلها من المدن والقرى التابعة لها، مع براعة أهلها وتفوقهم، ودعم من المرابطين وعنايتهم حتى صارت مضربا للأمثال.

الخرائط

والأشكال

قائمة الملاحق

رسالة استنجاد ابن عباد بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين

01 جمادى أولى /479هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما :

إلى حضرة الإمام أمير المسلمين وناصر الدين محي دعوة الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين من القائم بعظيم إكبارها الشاكر لإجلالها، المعظم لما عظم الله من كريم مقدارها اللائذ بحرمها، المنقطع إلى سمو مجدها المستجير بالله وبطولها محمد بن عباد، سلام الله الكريم يخص الحضرة العلية المعظمة السامية ورحمة الله وبركاته .

وكتب المنقطع إلى كريم سلطانها من اشبيلية غرة جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وأربعمائة، وأنه- أيد الله أمير المسلمين ونصر به الدين- أنا نحن العرب في هذه الأندلس قد تلقت قبائلنا، وتفرق جمعنا، وتغيرت أنسابنا بقطع المادة عنا من معيننا فصرنا شعوبا لا قبائل وأشتاتا لا قرابة ولا عشائر، فقل ناصرنا وكثر شامتنا وتوالى علينا هذا العدو المجرم اللعين إذ فتش وأناخ علينا بكلكله ووطئنا بقدمه، وأسر المسلمين وأخذ البلاد والقلاع والحصون، ونحن أهل هذه الأندلس ليس لأحد منا طاقة على نصرة جاره ولا أخيه ولو شاءوا لفعلوا إلا أن الهوان منعهم من ذلك وقد ساءت الأحوال وانقطعت الآمال، وأنت – أيدك الله- ملك المغرب وأبيضه وأسوده وسيد حمير ومليكها الأكبر وأميرها وزعيمها ونزعت بهمتي إليك وانتصرت بالله ثم بك، واستغثت بحرمكم لتجوزوا لجهاد هذا العدو الكافر وتحيوا شريعة الإسلام وتذبوا عن دين محمد عليه الصلاة والسلام، ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم والأجر الجسيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، والسلام الكريم على حضرتكم السامية ورحمة الله تعالى وبركاته .

المرجع : د/ أحمد عزاوي- ص155.

مملـــكة المريـــة

-خيران العامري : 403-419هـ (1012 – 1028 م).

-زهير العامري : 419-429هـ (1028 – 1038م).

-عبد العزيز بن عبد الرحمن (شنجول):430-433هـ(1038-1041م).

-معن بن صمادح : 433-443هـ (1041-1051م).

-محمد بن معن (المعتصم) : 443-484هـ (1051-1091م).

-أحمد بن محمد (المعز) : 484هـ (1091م).

المرجع : دوزي- : دوزي- ج3- ص224.

أمراء المرابطين

- أبو بكر بن عمر : 448هـ (1056م).
- يوسف بن تاشفين : 465هـ (1073م).
- علي بن يوسف : 500هـ (1106م).
- تاشفين بن علي : 537هـ (1142م).
- إبراهيم بن تاشفين بن علي : 540هـ (1145م).
- إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين : 540هـ (1145م).

المرجع : د/ حسن علي حسن– الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس– ص521.

وصف المرية :

"... وهي على ساحل البحر، ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران، بناها عبد الرحمن الناصر، وعظمت في دولة المنصور بن أبي عامر، وولى عليها مولاه خيران، فنسبت القلعة إليه، وبها من صنعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد، وفيها دار الصناعة، وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام، ومن أبوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر".

"...كان بالمرية لنسج طرز الحرير ثمانمائة نول، وللحلل النفيسة والديباج الفاخر ألف نول، وللأسقلاطون كذلك، وللثياب الجرجانية كذلك، وللأصفهانية مثل ذلك، وللعنابي والمعاجر المدهشة والستور المكللة. ويصنع بها صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج مالا يوصف. وفاكهة المرية يقصر عنها الوصف حسنا، وساحلها أفضل السواحل، وبها قصور الملوك القديمة الغربية العجيبة".

"... ولم يكن في بلاد الأندلس أكثر مالا من أهل المرية، ولا أعظم متاجر وذخائر، وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف، وهي بين الجبلين بينهما خندق معمور، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهور بالحضانة، وعلى الآخر ربضها، والسور محيط بالمدينة والربض، وغربيها ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ذو فنادق وحمامات وخنادق وصناعات، وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة، وأحجار أولية، وكأنما غربلت أرضها من التراب، ولها مدن وضياع عامرة متصلة الأنهار"

المرجع: المقري – نفخ الطيب- ج1- ص 162، 163.

قائمة المصادر والمراجع

- المصادر:

1- ابن الأثير - الكامل في التاريخ - تحقيق: عمر عبد السلام تدمري - جزء 7 - دار الكتاب العربي - بيروت - 2010.

2- ابن الأثير - الكامل في التاريخ - تحقيق : عمر عبد السلام تدمري - جزء 8 - دار الكتاب العربي - بيروت - 2010.

3- ابن بشكوال - الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم - تحقيق : بشار عواد معروف - مجلد 1 - طبعة 1 - دار الغرب الإسلامي - تونس - 2010.

4- ابن حوقل أبو القاسم- المسالك والممالك - مطبعة بريل - لندن - 1872 .

5- ابن خلدون - كتاب العبر - جزء 4 - منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت - 1989.

6- ابن خلدون - تاريخ ابن خلدون : كتاب العبر- جزء 6 - منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت - 1971.

7- ابن الخطيب (لسان الدين) - الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق: محمد عبد الله عنان- مجلد 1 طبعة2 - مكتبة الخانجي - القاهرة - 1973.

8- ابن الخطيب (لسان الدين) - أعمال الأعلام - قسم2 - نقله: بروفنسال - بيروت - 1956.

9- ابن القوطية - تاريخ افتتاح الأندلس - تحقيق : إبراهيم الأبياري - مجلد 2 - طبعة 2 - دار الكتاب المصري اللبناني - القاهرة - 1989.

10- ابن الوردي سراج الدين- عجائب البلدان - تحقيق : أنور محمد زناتي - طبعة 1 - دار الآفاق العربية - مصر - 2011.

11- الإدريسي – صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (من كتاب نزهة المشتاق) – نشر: دي غويه ، دوزي – ليدن – 1866.

12- البلاذري – البلدان (فتوحها وأحكامها) – تحقيق: نجيب ماجدي – طبعة 1 – الدار العصرية – بيروت – 2008.

13- الحموي ياقوت – معجم البلدان – مجلد5 – دار صادر – بيروت – 1977.

14- الحميري – الروض المعطار– تحقيق : إحسان عباس– طبعة 1– مكتبة لبنان– بيروت– 1975.

15- الحميري – الروض المعطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة) – تحقيق: إحسان عباس – طبعة1، طبعة2 – مكتبة بيروت – 1975، 1984.

16- الحميري – صفة جزيرة الأندلس – نشره: ليفي بروفنسال – القاهرة – 1937.

17- الرقيق أبو اسحاق ابن القاسم – قطعة من تاريخ افريقية والمغرب – تحقيق: عبد الله العلي الزيدان، د/ عز الدين عمر موسى – طبعة1 – دار الغرب الاسلامي – بيروت – 1990.

18- الرقيق القيرواني – تاريخ افريقية والمغرب – تقديم: محمد زينهم محمد غرب – دار الفرجاني – مصر – 1994.

19- المازاري – طلع سعد السعود في أخبار وهران واسبانيا وفرنسا – تحقيق : يحيى بوعزيز – طبعة1 – جزء1 – دار البصائر – الجزائر – 2007.

20- المراكشي ابن عذاري – البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – جزء 4 – تحقيق: احسان عباس – بيروت – 1967.

21- المراكشي عبد الواحد – المعجب في تلخيص أخبار المغرب – مطبعة الثقافة – المغرب – 1938.

22- المقري أحمد التلمساني– نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب – تحقيق: احسان عباس – جزء1 – دار الأبحاث – الجزائر – 2008.

23- المقري أحمد التلمساني – نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب – جزء3– 2008.

24- المقري أحمد التلمساني – نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب – جزء4 – 2008.

25- النباهي أبو الحسن المالقي – تاريخ قضاة الأندلس – تقديم: صلاح الدين الخطوري – طبعة 1 – المكتبة العصرية – بيروت – .2006

26- مجهول – جغرافية وتاريخ الأندلس – تحقيق: عبد القادر بوباية – مؤسسة البلاغ – الجزائر – .2013

- المراجع :

27- بلغيث محمد الأمين – دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي – دار التنوير – الجزائر- 2006.

28- بن قربة صالح – عبد المؤمن بن علي – منشورات وزارة الثقافة – الجزائر – 1985.

29- بوتشيش إبراهيم القادري – مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين – دار الطليعة – بيروت – 1997.

30- حاجيات عبد الحميد – تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد المرابطين – ج 3 – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1984.

31- الحجي عبد الرحمان علي – التاريخ الأندلسي (من الفتح حتى سقوط غرناطة) – ط 2 – دار العلم – دمشق – 1981.

32- الحجي عبد الرحمان علي – التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة : 92هـ، 897هـ / 711،1492م – ط2 – دار القلم – دمشق، بيروت – 1981.

33- حسن حسن إبراهيم- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي – ط 14 – ج4 – دار الجيل – بيروت – 1996.

34- حسن علي حسن – الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين) – ط1- مكتبة الخانجي – القاهرة – 1980.

35- الحسين محمد بن إبراهيم بن صالح – جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصر المرابطين والموحدين (483، 640هـ) – ط1 – دار أصداء المجتمع – القسيم – 1988

36- حمدي عبد المنعم محمد حسين – التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين – دار المعرفة العلمية الجامعية – القاهرة – 2008.

37– خالص صلاح – إشبيلية في القرن الخامس الهجري – دار الثقافة – بيروت.

38–خطاب محمود شيت– قادة فتح الأندلس– مجلد1– ط1– منار للطباعة والنشر – دمشق– 2003.

39– داودي مصطفى– الترجمة في الأندلس (ودورها في النهضة الأوروبية الحديثة) – ط 1 – دار التنوير – الجزائر –2012 .

40– دندش عصمت عبد اللطيف – الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني) 510، 546 هـ /1116، 1151م – ط1 – دار الغرب الإسلامي – بيروت – 1988.

41– زيتون محمد محمد– الفتح الإسلامي للأندلس – مجلة كلية العلوم الإسلامية – الرياض – 1980.

42– سالم السيد عبد العزيز– تاريخ المغرب في العصر الإسلامي– مؤسسة شباب الجامعة– الإسكندرية – 2011.

43– السائح الحسن – الحضارة الإسلامية في المغرب – ط2 – دار الثقافة – دار البيضاء –1986.

44– سالم السيد عبد العزيز– تاريخ مدينة المرية الإسلامية (قاعدة أسطول الأندلس) – مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية – 1984.

45– سالم السيد عبد العزيز– في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس– مؤسسة شباب الجامعة– الإسكندرية – 1998.

46– الصلابي علي محمد محمد – الجوهر الثمين لمعرفة دولة المرابطين – ط 1 – دار التوزيع الإسلامية – مصر – 2003.

47– طلفاح خير الله – حضارة العرب في الأندلس – ج6 – دار الحرية للطباعة – بغداد – 1977.

48- طويل مريم قاسم- مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح 443، 484هـ /1051،1091م - ط1 - دار الكتب العلمية - بيروت - 1994.

49- عاشور سعيد عبد الفتاح- بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته- ط 1- عالم الكتب- القاهرة - 1987.

50- العبادي أحمد مختار - في تاريخ المغرب والأندلس - دار النهضة العربية - بيروت .

51- عزاوي أحمد - عصر الطوائف في الأندلس من خلال رسائل ديوانية (قرن 5هـ/11م) - ط 1 - مطابع الرباط - 2013.

52- العلمي عبد الرحيم - الحركة الصوفية بالأندلس خلال القرن 8هـ/ 14م (نصوص وأبحاث) - دار الأمان - الرباط - 2009.

53- عنان محمد عبد الله- دولة الإسلام في الأندلس- ط1- مطبعة لجنة التأليف- القاهرة- 1960.

54- عنان محمد عبد الله - دولة الإسلام منذ قيامها حتى فتح المرابطين - ط 1 - مطبعة لجنة التأليف - القاهرة - 1960.

55- عنان محمد عبد الله - دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين) - ط 2 - مكتبة الخانجي - القاهرة - 1990.

56- عنان محمد عبد الله - الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال - ط 2 - مكتبة الخانجي - القاهرة - 1997.

57- أبو الفضل محمد أحمد- تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي (منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها) - 344، 484هـ/ 955 - 1091م - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الإسكندرية - 1981.

58– كروم بومدين– أبو الحسن الششتري الصوفي الجوال (حياته وشعره) – ط 1 – دار التوفيقية – الجزائر – 2011.

59– مؤنس حسين– الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين – ط 1 – مكتبة الثقافة الدينية – بور سعيد – 1992.

60– مؤنس حسين – سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس – ط 1 – دار الثقافة الدينية – بور سعيد – 2000.

61– مؤنس حسين – المساجد – سلسلة عالم المعرفة – الكويت – 1981.

62– مجموعة كتاب – فصول في تاريخ الأندلس (بداية النهاية) – ترجمة : عبد الفتاح عوض – عين للدراسات والبحوث – القاهرة – 2001.

63– محمود السيد – تاريخ دولة المرابطين والموحدين – مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية – 1999.

64– مصطفى شاكر – الأندلس في التاريخ – منشورات وزارة الثقافة – دمشق – 1990.

65– أبو مصطفى كمال السيد– دراسات أندلسية في التاريخ و الحضارة – مركز الإسكندرية للكتاب – الإسكندرية – 1997.

– الكتب المترجمة :

66– أشباخ يوسف– تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين – ط 2 – ج 1 ، ج 2 – مكتبة الخانجي – القاهرة – 1996.

67– بروفنسال ليفي – حضارة العرب في الأندلس – ترجمة ذوقان قرقوط – مكتبة الحياة – بيروت

68- بروكلمان كارل – تاريخ الشعوب الإسلامية – نقله : نبيه أمين فارس / منير البعلبكي – ط 5 – دار العلم للملايين – بيروت – 1968.

69- دوزي رينهرت – المسلمون في الأندلس – ترجمة : حسن حبشي – ج 3 – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – 1995.

70- ريسلر جاك – الحضارة العربية – تعريب : خليل أحمد خليل – ط1 – منشورات عويدات – بيروت – 1993.

71- مونتغمري وات- في تاريخ اسبانيا الإسلامية- ترجمة: محمد رضا المصري- ط2- شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- بيروت- 1998.

72- هل يانس – الحضارة العربية – ترجمة : إبراهيم أحمد العدوي – مكتبة الأنجلو مصرية – القاهرة – 1956.

- الرسائل والمذكرات :

73- بلغيث محمد الأمين – الحياة الفكرية بالأندلس عصر المرابطين – (أطروحة دكتوراه دولة) – كلية العلوم الانسانية والاجتماعية – 2002/2003.

– **الدراسات :**

74– اكسبيراثيون سانبيشر – الزراعة في اسبانيا المسلمة – ترجمة: أكرم ذا النون – مركز الدراسات للوحدة العربية – ط1 – ج2 – بيروت – 1998.

75– بولنز لوسي– نباتات الصباغة والنسيج– ترجمة مصطفى الرقي– ط1 – ج2 – بيروت – 1998.

76– شلميطا بيدرو– صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي – ترجمة : مصطفى الرقي – م د و ع – ط1 – ج2 – بيروت – 1998.

77– غيشار بيار – التاريخ الاجتماعي لاسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين – ترجمة: مصطفى الرقي – مركز الدراسات للوحدة العربية – ط1 – ج2 – بيروت – 1998.

78– وينز دايفد– فنون الطبخ في الأندلس– ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة– م و د ع– ط 1– ج2– بيروت– 1998.

فهرس الأعلام

فهرس المدن

الفهرس العام